

## المحاضرة الأولى

### النظرية في علم الاجتماع تعريفها وأنواعها وطابعها

#### مقدمة

يعتقد البعض أن النظرية ما هي إلا فكرة أو تصور أو حتى مجموعة أو إطار من التصورات ، ويظن البعض الآخر أن النظرية لا تختلف كثيراً عن الفرض العلمي أو تتكون من مجموعة من القضايا الشبيهة بهذا الفرض ، وقد نجد بعضاً ثالثاً يعتبر النظرية بمثابة مبدأ أو قانون بينما يقرر بعض رابع أن النظرية تمثل نموذجاً أو تقترب من عملية صياغة الأنماط.

وهكذا قد يتجه الفهم الشائع لمفهوم النظرية بين رجل الشارع وحتى بين بعض المثقفين بعيداً عن المعنى الدقيق لمفهوم النظرية كما استخدم الآن خاصة في مجموعة النظم الفكرية المختلفة التي اكتسبت أخيراً لقب العلم، وكما يساعد على إزالة ذلك الخلط والتداخل بين مفهوم النظرية ومجموعة كبيرة من المفاهيم وثيقة الصلة بها.

ويعين في نفس الوقت على تصحيح ذلك الفهم الخاطئ الذي قد يصاحب استخدام مفهوم النظرية في بعض الأحيان، وكان بعض الباحثين المهتمين بالنظرية قد انشغلوا في البحث عن تعريف محدد وواضح ودقيق للنظرية في أثناء محاولتهم لتأريخ النظرية في نطاق العلم عامة و علم الاجتماع موضوع اهتمامنا على وجه الخصوص.

والذي أسهم من جانبه في التعرف على حدود مفهوم النظرية وصلته بمجموعة المفاهيم التي قد يختلط ويتداخل معها ، وكذلك أسهم هذا الجهد في التمييز بين أنواع متباينة للنظرية والكشف عن طابع النظرية في العلم وفي علم الاجتماع فيما بعد.

#### أولاً: المفاهيم وثيقة الصلة بمفهوم النظرية

إذا سلمنا بالرأي القائل أن العلم ما هو إلا مجموعة من المعارف المنظمة التي تدور حول ميدان محدد (الظواهر التي يهتم بدراستها) فالمتبع بين العلماء في مختلف النظم الفكرية – طبيعية واجتماعية – هو الاستعانة بمجموعة من الوسائل تساعد في التوصل إلى هذه المعارف المنظمة وكذلك الاعتماد على مجموعة من الأساليب في التعبير عن هذه المعارف المنظمة.

وإذا وافقنا على هذا الرأي بأن المعارف المنظمة التي يهدف إليها كل نظام فكري في أي علم لا تختلف كثيراً عن النظريات، فمن الملاحظ أن العلماء يستعينون بأساليب مثل المناهج والطرق والأدوات في التوصل إلى هذه النظريات وفي نفس الوقت يعتمدون على أساليب مثل التصورات والمفاهيم العلمية والمصطلحات والمسلمات والفروض والقوانين والنماذج في التعبير عن النظريات العلمية.

ومن هنا ظهر الارتباط الوثيق بين مفهوم النظرية ومجموعة المفاهيم الأخرى مثل المصطلح العلمي والفرض والقانون والنماذج إلى الحد الذي اختلط معه الأمر على البعض وكاد أن لا يرى اختلافاً بينهما، ومن هنا كان من الواجب التعمق في معرفة هذه المفاهيم على النحو التالي:-

#### 1- المفهوم او المصطلح العلمي

لقد استخدم علم الاجتماع مصطلحات شائعة في لغة الحياة اليومية واعتبرها بمثابة مفاهيمه الأساسية واستعان بها في التعبير عن جوهر تفكيره العلمي، وتعتبر مفاهيم مثل الشخصية والثقافة والمجتمع المحلي والمجتمع والجماعة والأسرة والاتجاه والقيم مجرد أمثلة قليلة على المفاهيم السوسولوجية والتي تختلف معانيها لدرجة كبيرة في استخدامات عالم الاجتماع عن استخدام رجل الشارع لها.

والمفهوم أو المصطلح أو التصور العلمي ومثاله إحدى الكلمات المشار إليها سلفاً، يتكون من خلال:

1. عزل مجموعة محددة من الأحداث أو أنماط السلوك.
2. ووصف خصائصها
3. ومن ثم تلخيصها في معنى معين ممثلاً لهذه المجموعة من الأحداث أو الأنماط أو السمات في جملتها.

وبهذا تعتبر كل مجموعة جديدة من البيانات عزلت أو فصلت عن المجموعات الأخرى على أساس خصائص محددة بمثابة معطى أو إسما أو تسمية أو هي باختصار مفهوم.

(انتبهوا) ومن هنا يمكن تعريف المفهوم على انه: {تحديداً مختصراً لمجموعة من الحقائق أو اختصاراً لعدد من الأحداث أو الظواهر تحت عنوان عام واحد ، أو انعكاس لما يدور في فكرنا حول هذه الظواهر والأحداث والعمليات في صورة مبسطة.}

(انتبهوا) وتنقسم المفاهيم إلى نوعين:

**نوع بسيط** يشير مباشرة إلى الموضوعات التي يختصرها مثل مفاهيم الكتب أو المنضدة أو السيارة.

**والنوع الآخر هو المفاهيم المجردة** :وهي التي لا تشير مباشرة إلى الموضوعات التي تختصرها مثل مفاهيم الإحباط والعدوان والدافعية والتضامن الاجتماعي، وهي تمثل استنتاجات على مستوى عالٍ من التجريد ، ولا يمكن توصيل معناها بسهولة من خلال الإشارة إلى موضوعات معينة أو أفراد أو أحداث أو ظواهر ، ومن هنا يعتبر هذا النوع من المفاهيم المجردة بمثابة أبنية فرضية ، وتعرف عملية اختصار الظواهر أو الموضوعات على هذا النحو السابق والتعبير عنها في صورة مفاهيم باسم عملية صياغة المفاهيم

### Conceptualization

ولما كانت المفاهيم المجردة والأبنية الفرضية مثل الإحباط والتضامن أكثر تعقيداً من المفاهيم البسيطة ، فإن هذه المفاهيم المجردة ليست في حاجة فقط إلى أن تكون محددة بعناية ، وإنما تحتاج أيضاً إلى ترجمتها إلى أحداث يمكن ملاحظتها أو مؤشرات يمكن على أساسها جمع البيانات التي تدلنا على هذه المفاهيم.

ومن ثم ظهرت الحاجة إلى وضع نوع آخر من التعريفات لهذه المفاهيم والذي يساعد على ترجمتها إلى ملاحظات أو مؤشرات ويسهم في توحيد معانيها بين الباحثين ، وتعرف هذه العملية الأخيرة باسم التعريف الإجرائي للمفاهيم **Operational definition**

ويعتبر " جون استيوارت دود " هو المسئول الأول عن محاولات إدخال هذا النوع من التعريفات الإجرائية للأبنية الفرضية إلى علم الاجتماع في محاولة منه لاستخدام مفاهيم يمكن ملاحظتها وعمليات يمكن اختبارها بحيث يمكن بناءً على ذلك استخدام المفاهيم على نحو يساعد على الوصف الموضوعي والدقيق وبطريقة قابلة للتحقيق للظواهر والأحداث التي تشير إليها هذه المفاهيم، ومن هنا تبدو أهمية المفاهيم باعتبارها كلمة مختصرة ومحددة وظيفتها وصف الظواهر موضوع البحث.

غير أن هناك إلى جانب المفهوم مصطلح آخر له أهمية مساوية هو المتغير **Variable** وهو يُعد يمكن قياسه للمفهوم مثل طول أو ارتفاع الرجل أو ديمقراطية أو ديكتاتورية القيادة ، كما يرتبط بمصطلح المتغير مفهوم آخر هو المؤشر **Indicator** وهو ما يدل على المتغير في الواقع وما يساعد على ربط المتغيرات بالواقع موضوع الملاحظة.

مثال : عند الحديث عن القيادة الديمقراطية يمكننا اعتبار مؤشر المشاركة في اتخاذ القرار كافٍ للدلالة على المقصود بهذا النوع من القيادة في الواقع ، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى قد ينظر في الغالب إلى مجموعة من المفاهيم أو إلى ما يعرف بالإطار التصوري **Conceptual Framework** على أنها نظريات غير أنها تمثل طريقة في الصياغة التصورية للظواهر في إطار وجهة نظر محدودة أكثر مما تعمل على تفسير العلاقات الداخلية بين هذه المفاهيم.

## 2- الفرض العلمي Scientific Hypothesis

أن الفرض العلمي { عبارة عن جملة تشتمل على أكثر من مفهوم أو هو بعبارة أدق قضية تحمل تفسيراً مبدئياً أو حلاً مقترحاً لمشكلة أو موضوع أو حدث أو ظاهرة.} فمثلاً أن الإقلاع عن التدخين يمثل الحل المقترح لمشكلة الإصابة بسرطان الرئة أو أن التدخين يفسر لنا مبدئياً سرطان الرئة، وهذه هي الوظيفة الأساسية للفروض ونعني التفسير المبدئي للظواهر موضوع الاهتمام.

وقضية الفرض ذاتها تضم حدثين أو ظاهرتين أو موضوعين مثل "التدخين وسرطان الرئة" يطلق على أحدهما (الأول) المتغير المستقل أو التجريبي **Independent Variable**، ويطلق على (الثاني) المتغير التابع **Dependent Variable** ، وقد تكون العلاقة بين هذين المتغيرين علاقة ارتباط أو علاقة تلازم أو علاقة سببية ، ويحاول البحث التحقق من طبيعة هذه العلاقة التي تدلنا عليها قضية الفرض هذه.

كما تبنى الفروض على أساس الاحتمالات أو التخمين والحدس العميق الذي يمتاز به بعض الباحثين، وبدون الفروض قد يجد الباحث أنه من الصعب عليه للغاية أو من المجهد أو ما يضيع الوقت أن يميز بين مجموعة العوامل المتفاعلة أمامه، فالفرض هو الذي يوجهه في عملية اختيار الحقائق المناسبة واللازمة لتفسير خضم الحقائق البعيدة عن الموضوع أو عديمة الصلة به.

وهكذا يختلف الفرض العلمي عن النظرية كما يختلف الفرض عن المفهوم ، غير أن اختلاف الفرض العلمي عن المفهوم من حيث أن الأول قضية والثاني كلمة قد يسمح بشيء من التداخل بين قضية الفرض العلمي وبين غيره من أنواع القضايا المعروفة في العلم.

إذ هناك قضايا بديهية أو مسلمات وهي تلك القضايا التي تدخل في بناء النظرية وينظر إليها باعتبارها نقطة انطلاق وأنها ليست في حاجة إلى برهنة، والتي يستنبط منها بقية القضايا الأخرى في النظرية طبقاً لمجموعة قواعد محددة، ومثال ذلك قول "هربرت سبنسر" أن {المجتمع يماثل الكائن الحي}.

### 3- القانون العلمي Scientific Law

إذا كان الفرض قضية مصاغة على نحو عام قبل التحقق من الوقائع ويعالج نطاقاً ضيقاً منها، ويُعد افتراضاً أولياً يؤخذ به من أجل تفسير الحقائق التي تم ملاحظتها فقط في أثناء مرحلة الاستطلاع، فإن القانون يُعد بمثابة قضية دقيقة تختزل سلسلة من الحقائق العلمية أو تختصرها في صيغة رياضية.

وهذا النوع من القضايا الدقيقة والمختزلة في صيغة رياضية لا تصل إليها إلا بعد اختبار وتحقيق وبلورة لمجموعة من الحقائق العلمية والقضايا الأخرى من نوع الفروض والتعميمات المحدودة ولذلك يُعد القانون قضية على درجة عالية من الاحتمال ويمكن الإفادة منه في تحقيق وظائف التوقع والتنبؤ في ميدان العلم.

### 4- النموذج العلمي Scientific Model

وتعتبر النماذج العلمية (صياغات تصويرية منسقة على نحو مبسط تضع العناصر المتشابهة في شكل إطار محدد)، وهناك أنواع مختلفة من أشكال هذه الأطر من بينها الإطار الشهير الذي يعرف باسم إطار الأهداف والوسائل عند "ميرتون" وهو من أشهر الأمثلة على النماذج العلمية في علم الاجتماع.

وتعتبر صياغة المادة العلمية في شكل رياضي هي الصياغة التصويرية -أو النموذج- المفضل لدى كثير من الباحثين. ومهما كانت الصياغة أو الشكل المختار للنماذج ، فهي تؤدي وظائف محددة، أهمها: تقديم صور من النظريات. مثلاً تصور نظرية علم الاجتماع باعتبارها مجموعة نماذج: كالنموذج العضوي أو النموذج الوضعي -نموذج الصراع- نموذج العملية الخ...

وتمكن النماذج من إدراك وبسرعة وعلى نحو شامل أنواع العلاقات بين المتغيرات التي تعبر عن النظريات. ويمكن إخضاع النتائج المشتقة من هذه التوقعات لمزيد من الفحص الشامل ، وبما أن هذه النتائج لا وجود لها يمكن صياغة إجراءات بحث وتصميمات تساعد على اشتقاقها.

كما أن النماذج تبين بوضوح حدود النظريات ونطاقها التصوري لأنها تعمل من خلال تركيز اهتمامها على الظواهر التي تشتمل عليها النظرية كما تعمل على توضيح والإجابة على السؤال : أين تقف النظرية أو تنتهي؟ بحيث يمكن أن نستبعد من فحصنا وقائع الحياة الاجتماعية التي لا يمكن أن تنطبق عليها.

ومن ناحية أخرى قد ينظر إلى النموذج على أنه نوع من الترميز Typology الذي يساعد على تحديد العلاقات المتداخلة بين خصائص أو ظواهر نحاول توضيحها| مثال ذلك نموذج الأسرة النواة ونموذج المجتمع الصناعي المتقدم. { وتفتقر النماذج عموماً إلى القدرة على التفسير إذ لا يفسر نمط الأسرة النواة أي شيء داخل هذه الوحدة ، وقد يكون نموذج المجتمع الصناعي المتقدم في المستقبل مفيداً، إلا أنه لا يفسر لنا تطور أو بناء أو العمليات الداخلية في هذا المجتمع.

وهكذا يتضح أن مفهومات مثل التصور والمتغير والمؤشر والإطار التصوري والفرضي والمسلمة والقانون والنموذج ليست في حد ذاتها نظريات لأن كل مصطلح منها لا يقدم في ذاته تفسيراً للظواهر التي يشير إليها. ولأن هذه الوظيفة أي التفسير تُعد وظيفة جوهرية بالنسبة للنظرية ، وأن الخلط والتداخل بين هذه المفهومات وبين مفهوم النظرية يمكن رده إلى أن كل هذه المصطلحات تُعد أجزاء من بناء النظرية كما سنحاول توضيحه في تعريف النظرية في المحاضرة القادمة إن شاء الله.

## المحاضرة الثانية - النظريات الاجتماعية

### ثانياً/ تعريف النظرية :

قد يكون من الصعب علينا ان نحصر الكتابات التي تعرضت لتحديد المقصود بالنظرية ومحاولة تقديم تعريف واضح لها ، غير انه من ناحية اخرى يمكن لنا تصنيف هذه الكتابات الى فئات محددة منها :

- 1- فئة الكتابات التي اهتمت ببيان طبيعة النظرية وتطورها في علم الاجتماع ومنها كتاب نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها الذي ألفه تيماشيف .
- 2- فئة الكتابات التي عنيت بتوضيح بناء النظرية في علم الاجتماع ومن بينها كتاب "جراهام كينلوش"
- 3- فئة الكتابات التي تخصصت في مناهج البحث العلوم الاجتماعية ومن امثلتها كتاب "كلير سيلز" حول مناهج البحث في العلاقات الاجتماعية .
- 4- واخيرا ،فئة الكتابات التي تهتم بتحديد المصطلحات والمفاهيم ومن امثلتها قاموس الفلسفة الذي حرره "روزنتال وبادين".

وباستطاعتنا ان نلقي الضوء على تعريف النظرية كما ساد بين هذه الكتابات من خلال الاكتفاء بمثال واحد عن كل فئة من الفئات الاربعة لتلك الكتابات العديده التي اهتمت بموضوع النظرية .

- ❖ نموذج قياس اساسي العلاقات المسلم بها جدلا
- ❖ المفاهيم كما تحدد طبقا للنموذج
- ❖ العلاقات المنطقية بين المفاهيم ( انواع العلاقات- بديهيات- قضايا تقريرية.. الخ)
- ❖ الصياغة الاجرائية للفروض والمتغيرات والمؤشرات
- ❖ مجموعة المناهج اعتمادا على النظرية ونوعية البيانات
- ❖ تحليل البيانات المعالجة الاحصائية، ارتباط- اختبارات الدلالة
- ❖ تفسير البيانات، حدود البيانات
- ❖ تقويم النظرية، الكفاءة الامبيريقية والنظرية

- 1- يحاول تيماشيف ان يوضح معنى النظرية من خلال عرضه المختصر لبناء اي علم امبيريقى بغض النظر عن موضوع الدراسة الخاص به والذي يذهب فيه الى انه اذا كانت الملاحظة هي اساس كل علم امبيريقى. وانه يتم التعبير عن نتيجة الملاحظة الفردية في صورة قضية واحدة مؤداها ان هذه الظاهره المحدده موضوع الملاحظة قد حدثت في زمان معين ومكان محدد وكانت مثل هذه القضية تعتبر بمثابة مطلب ضروري لاي علم الا ان هذا النوع من القضايا ليس كافيا في حد ذاته لبناء نظرية العلم .
- لانه ينبغي ان تنظم الملاحظات الفردية وهناك اساليب عديدة ومتنوعة لتنظيم هذه الملاحظات بمعنى ان تحدد انماط تضم كل منها عددا من الملاحظات المتشابهة وقد تخضع الملاحظات الفردية للمعالجات الاحصائية مثل التوزيع التكراري والتسلسل الزمني ومعاملات التوافق والارتباط وغيرها او قد ترتب هذه الملاحظات في سياق نشوئى يوضح النمو التدريجي لعمليات معينه مع مقارنة كل هذه السياقات بالآخر من اجل الكشف عن اوجه الشبه والاختلاف بينها ،ويترتب على تنظيم الملاحظات باستخدام واحد من اساليب التنظيم او اشكاله السابقه ما يعرف بالتعميم الذي يوضع في شكل قوانين طبيعية او اجتماعية -حسب مجال الدراسة - تمكن من التنبؤ بنتيجة محددة عندما تتوافر شروط معينه . وتمثل النظرية مجموعة من القضايا التي تتوافر فيها الشروط التالية :

- ينبغي ان تكون المفاهيم التي تعبر عنها القضايا محددة بدقة
- يجب ان تنسق القضايا بعضها مع البعض الاخر
- لابد ان توضع القضايا في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات اشتقاقا استنباطيا
- ينبغي ان تكون هذه القضايا من النوع الخصب والمثمر الذي يستكشف الطريق نحو ملاحظات ابعده مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة
- أ- المخدرات.الصحة-الاسلام
- ب- المخدرات ضارة بالصحة .

الكوكائين من المخدرات (التي تنتشر بالمجتمعات الاسلامية)

الاسلام يدعو الى تجنب ما يضر بالصحة

ج- المخدرات محظوره بالدول الاسلامية

د- مكافحة المخدرات ضرورية

أ- كل الفواكه لونها احمر

ب- الموز فاكهة

ت- الموز لونه احمر

هذا الاستنباط صحيح ؟

ولا يمكن ان نستقى النظرية من الملاحظات والتعميمات عن طريق استخدام وسائل الاستقراء المضبوطة والدقيقة فقط لان بناء النظرية يعتبر عملا وخلاقا، يحتاج الى قفزة فيما وراء الأدلة، النظرية مهما كان مصدرها لا بد وان تخضع للتحقيق، وهي تعد صادقه ومحققه مبدئيا في حالة عدم وجود وقائع معروفة او تعميم قائم يناقضها .

اذا كان هناك ما يناقضها فالامر يتطلب رفضها او تعديلها على الاقل. ويعتبر هذا الاختبار مجرد تحقيق مبدئي لانه قد توجد هناك احيانا نظريتان او اكثر تقومان بتفسير الوقائع او التعميمات المعروفة، الامر الذي يجعلنا نلجأ في هذه الحالة الى استخدام اجراء اخر يعرف بالتجربة الحاسمة او الملاحظة الحاسمة بحيث يمكننا هذا الاجراء من تقرير اي النظريات تتطابق مع الواقع وتتفق معه .

2- بدأ جراهام كينلوش في كتابه بعنوان "نظرية علم الاجتماع تطورها ونماذجها الرئيسية"، تعريفه للنظرية باستعراض ماهو متاح في التراث من اجتهادات سابقة من بينها تعريف بلالوك بأن النظرية لاتشتمل فقط على الاطر التصورية او الانماط المختلفة والنماذج وانما تشتمل معظمها ايضا على قضايا تشبه القوانين وترتبط بين المفهومات والمتغيرات . وكذلك تعريف جيبز بأن النظرية عبارة عن مجموعة من القضايا التي ترتبط منطقيا فيما بينها في صورة تأكيدات امبيريقية تتعلق بخصائص مجموعة محددة من الاحداث او الاشياء.

يمكن النظر الى عدد من الخصائص المشتركة من بينها التجريب والمنطقية والقضايا والتفسيرات والعلاقات وموافقة الدوائر العلمية عليها بحيث يمكن القول بأن النظرية عبارة عن قضايا مجردة ومنطقية تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر .

بالنسبة لـ كينلوش هذا التعريف لا يعبر عن بناء وتكوين النظرية نظرا للاختلاف على نوع وعدد العناصر التي يشتمل عليها هذا البناء ومع ذلك يمكن تلخيص هذه العناصر على النحو التالي :

أ- يعتبر النموذج القياسي الذي تستند اليه النظرية اول دعومات للنظرية، ذلك النموذج الذي يشتمل على الصياغة التصورية الخاصة بالظواهر التي تقوم النظرية بتفسيرها وعلى العلاقات التفسيرية الاساسية التي توضح الاسلوب الذي تعمل بواسطته هذه الظواهر . وهكذا يتم تحديد الظواهر موضوع الاهتمام على نحو تصوري بينما يفترض جدلا وجود علاقة سببية اساسية حيث تستخدم مضامين هذه العلاقة في تفسير تلك الظواهر الخاصة بموضوع الاهتمام واذا حدث وان حقق تطوير هذا النموذج القياسي مستوى يفوق مستوى الفروض البسيطة والعامه فإنه قد يصبح نموذجا للعلاقات المسلم بها جدلا والتي تمثل الاساس في البناء الرسمي للنظرية. ومن امثلة النماذج القياسية النظرية يمكن الاشارة الى اطار البنائية الوظيفية وتوجهات نظرية الصراع ونظرية فرويد الشخصية والتفاعلية الرمزية .

ب- اي نموذج قياسي ينطوي على مفهومات معينه وهي اوصاف او اسماء تعطى لمجموعة ظواهر ( مثل الشخصية والطبقة الاجتماعية والنسق الاجتماعي والنظام والحراك الاجتماعي والتغير الاجتماعي ) وهذه المفهومات في حاجه الى تحديد واضح والى التدلil على علاقتها بالنموذج القياسي الاساسي .

ث- تحتاج العلاقات المنطقية بين هذه المفهومات الى توضيح بمعنى انه ينبغي الربط بين المفهومات على نحو نظري وتميل مستويات وشكل هذه العلاقات الى التباين فقد تكون بمثابة بديهيات ( بمعنى القضايا التي يفترض بأنها صحيحة في ذاتها )

ثم القضايا التي تمثل تعبيرات عن العلاقات التي يمكن استخلاصها بين هذه البديهيات او الفروض او تلك التعبيرات عن العلاقات بين المفاهيم في شكل اجرائي بمعنى مؤشرات الامبيريقية واكثر من ذلك قد تكون هذه العلاقات ايجابية او سلبية او مستقلة عن بعضها الاخر .

- ج- تحتاج المفاهيم والتعبيرات عن العلاقات الى ان تحدد على نحو امبيريقى او تصوري في صورة متغيرات ( مثل اختبارات الشخصية ومقاييس الطبقة الاجتماعية والمقاييس الديموجرافية للنسق الاجتماعي والبناء التنظيمي للنظم ومقاييس معدلات الحراك الاجتماعي والمقاييس الاقتصادية الاجتماعية للتغير الاجتماعي ) ويشتمل كل متغير ايضا على عدد من المؤشرات الامبيريقية التي تحدد بواسطة نوع الاداة المستخدمة في البحث ( استبيان -مقابلة ... ) والتي يختارها صاحب النظرية ويتمثل الاختلاف الرئيسي بين النظريات العلمية وغير العلمية في المدى الذي أمكن به اختبار هذه النظريات امبيريقيا اكثر من الاختلاف فيما بينها في الايديولوجيا او في نسق الافكار وثيق الصلة بكل منهما .
- ح- وتشتمل هذه المرحلة على مناهج البحث الامبيريقية لاختبار العلاقات الافتراضية بين المتغيرات والمؤشرات وقد يشتمل ذلك على : مسح للرأي ، وملاحظة بالمشاركة ، وبيانات توفرها المقابلة الشخصية ، والمعالجة الرياضية للمعطيات الديموجرافية او تجارب الجماعة الصغيرة في العمل . وهذه النماذج تحدد الى درجة كبيرة طبقا لنوع المتغيرات المستخلصة من بناء النظرية . ومهما كانت نوعية المناهج المستخدمة فهي محكومة بخصائص العينة المتاحة والخطأ في سحب العينة ومستوى الضبط الذي يتوافر للباحث وخطأ القياس وكذلك الخطأ في تحليل البيانات .

خ- عندما يتم جمع البيانات ، ينبغي تحليلها بالرجوع الى الفروض الرئيسية للنظرية وغالبا مايشتمل هذا التحليل على تطبيق للاساليب الاحصائية للاشارة الى مستويات الارتباط والدلالة الاحصائية واذا اسبى تطبيق هذه الاختبارات وافتقر الى المهارة فانه قد يكون مضلا الى درجة كبيرة واكثر من ذلك فان هذا يعتمد الى حد كبير على نوعية العينة والبيانات المتوافره .

- د- فور اكتمال تحليل البيانات ينبغي على صاحب النظرية الشروع في تفسير نتائج البيانات بالرجوع الى بناء النظرية نموذجها القياسي الاساسي والبديهيات والقضايا التقريرية والفروض .ولما كانت المناهج الامبيريقية والاختبارات وتحليل البيانات لاتمدنا الا باختبارات غير مباشرة فقط للبناء الاساسي للنظرية فان الباحث مطالب بأن يكون على درجة عالية من الاحتياط في استخلاص استنتاجاته من بيانات محدودة ومن السذاجة المبالغة في الدلالة النظرية لأي مجموعة من البيانات الامبيريقية مهما كان نطاق هذه البيانات متسعا .

ذ- في النهاية يسعى صاحب النظرية الى تقويم النظرية في ضوء معيارين اثنين اساسين اولهما : كفاءه ومجال ومنطق بناؤها النظري ، وثانيهما : مستوى امكانية الاختبار والتنبؤ والدقة عند اخضاعها للفحص الامبيريقى . والمجال مفتوح هنا لعدد من البدائل الممكنه :

- اما استبعاد النظرية كلية
- او تعديل نموذجها القياسي الاساسي
- او تطوير بديهيات اخرى وقضايا تقريرية وفروض
- او استحداث مناهج جديد

ومهما كان الحال يضطر الباحث الى اتخاذ بعض القرارات المتعلقة بالنظرية التي يطورها او يختبرها ولهذا تعد عملية التنظير عملية مستمرة ودينامية وتشتمل على تغير مستمر وتعديل . والخلاصة ان النظرية تعد بمثابة مجموعة من القضايا التقريرية والمنطقية والمجردة والمقبولة والتي تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر .

### 3- وهنا نطرح سؤالا وهو :ما الذي يشتمل عليه بناء النظرية ؟

ان بناء النظرية الرسمي يشتمل على ثمانية عناصر رئيسية وهي :

- نموذج قياس
- مجموعة مفهومات
- العلاقة بين المفهومات

- قضايا تعبيرية (بديهية وقضايا تقريرية وفروض) تتعلق بالعلاقات المنطقية بين هذه المفاهيم والقضايا معبر عنها بطريقة اجرائية
- مجموعة المناهج المستخدمة في اختبار العلاقات الافتراضية
- تحليل البيانات
- تفسير النتائج
- وفي النهاية عملية تقويم البناء الامبيرقي والمنطقي للنظرية في ضوء تحليل البيانات وتفسيرها ويوضح الشكل التالي العناصر التي يشتمل عليها بناء النظرية ويعبر عن ديناميات عملية التنظير :
- ❖ نموذج قياس اساسي العلاقات المسلم بها جدلا
- ❖ المفاهيم كما تحدد طبقا للنموذج
- ❖ العلاقات المنطقية بين المفاهيم (انواع العلاقات- بديهيات- قضايا تقريرية.. الخ)
- ❖ الصياغة الاجرائية للفروض والمتغيرات والمؤشرات
- ❖ مجموعة المناهج اعتمادا على النظرية ونوعية البيانات
- ❖ تحليل البيانات المعالجة الاحصائية، ارتباط- اختبارات الدلالة
- ❖ تفسير البيانات، حدود البيانات
- ❖ تقويم النظرية، الكفاءة الامبيرقية والنظرية

4- اهتمت كلير وزملاؤها من ناحية اخرى في كتابهم عن مناهج البحث في العلوم الاجتماعية بتحديد معنى النظرية فاقترنت تعريف برات وات الذي يرى ان النظرية تشتمل على مجموعة من الفروض التي تكون نسقا استنباطيا .

بمعنى انها تنتظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحق ببعض الفروض المتقدمة او بعبارة اخرى تعد النظرية بمثابة مجموعه من القضايا التي تنتظم في نسق نمطي ويتدرج على مستويات :

- 1- يحتل فيه القضايا او الفروض على مستوى الاعلى مكانه المقدمات المنطقية
  - 2- وتكون فيه الفروض على المستوى الادنى بمثابة نتائج لما يتقدمها من فروض
  - 3- وتكون فروض المستوى الاوسط مستنتجه من فروض المستوى الاعلى
  - 4- كما تكون فروض المستوى الاوسط بدورها مقدمات منطقية لفروض المستوى الادنى
- البطالة تسبب الفقر ( أ هي ب )
  - الفقر يسبب الانحراف ( ب هي ج )
  - البطالة تسبب الانحراف ( أ هي ج )

5- يذهب كل من روزنتال ويادين في القاموس الفلسفي الى ان : النظرية تعتبر بمثابة نسق من المعرفة التعميمييه وتفسير للجوانب المختلفه للواقع وانها ترتبط باشياء ومصطلحات اخرى مع انها تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف فهي تختلف عن التطبيق والممارسة لان جوهرها يهتم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا . واذا كانت كل نظرية نسقا او اطارا فكريا فهي نسق معقد اذ يمكن لنا ان نميز في النظريات الفيزيقية بين جزئين او جانبين مكونان لها ، الحسابات الصورية :كالرياضيات والرموز المنطقية ... الخ وبين التفسير الاساسي الجوهرى :كالمقولات والفئات والقوانين وما اليها .

اذ من الملاحظ ان هذه المناقشات تقدم لنا اجابات مناسبة على كل مايمكن ان يثار من تساؤلات حول النظرية مثل كيف تتكون ؟ ومما تتكون ؟ وماهي الشروط التي يجب ان تتوافر في العناصر المكونة لها ؟ وبماذا تمتاز النظرية ؟ واخيرا لماذا يحرص العلماء على تكوين النظرية ؟

أ- حيث تتفق وجهات النظر كل من تيماشيف وكينلوش على الكيفية التي يتم بها تكوين النظرية ، وكيف ان عملية التنظير عملية معقدة ومستمرة ولا تتم بمعزل عن مجموعة المناهج بحيث لاتعد كلا من النظريات والمناهج كيانات منفصلة انما تنطوي كل واحده منها على الاخرى ، وينبغي ان تجري عملية التقويم لها معا في نفس الوقت .

تيماشيف يوضح هذه الكيفية من خلال انطلاق العلم من الملاحظه ثم تجميع الملاحظات الفردية واستخلاص نتيجة عامه بطريقه استقراره واستخدام اساليب التصنيف والمعالجة الاحصائية وغيرها ثم اختيار صحة هذه النتيجة العامه كفرض مبدئي ثم التوصل الى

التعميمات او القوانين .فان كينلوش يوضح هذه الكيفية من خلال انطلاق العلم من النماذج القياسية والتصورات ومحاولة صياغة قضايا تحتاج بعد ذلك الى اختبار ثم تحليل للبيانات وتفسيرها واخيرا تقييم القضايا نظريا ومنهجيا

ب- ثم تتفق وجهات نظر كل من كينلوش وسيلتزر ويادين على مكونات النظرية بحيث نجد كينلوش يحصر هذه المكونات في النماذج القياسية ثم المفهومات ثم القضايا المسلمة والفروض .

نلاحظ ان سيلتزر تحصر هذه المكونات في نسق القضايا التي تمثل بعضها مقدمات وتعد الاخرى نتائج عامة بينما يرددها روزنتال ويادين الى اطار مكون من حسابات صورية ورموز وقواعد وتفسير جوهري : مقولات وقوانين

ج- ثم تتفق وجهات نظر تيماشيف وكينلوش وسيلتزر ويادين على الشروط التي يجب ان تتوافر في العناصر المكونة للنظرية اذ يقول تيماشيف انه ينبغي ان تكون مفهومات النظرية محددة بدقة وان تتسق القضايا المكونة لها بعضها مع البعض الاخر وان تصاغ في شكل يسهل اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية وان تخضع للتحقق الامبيريقى ويؤكد كينلوش ضرورة تقويم النظرية في ضوء معيارين اثنين اساسيين اولهما : كفاءة ومجال منطوق بناؤها النظري . وثانيهما : مستوى وامكانية الاختبار والتنبؤ والدقة عند اخضاعها للفحص الامبيريقى . بينما ترى سيلتزر انه يجب ان تصاغ النظرية في نسق استنباطي وان نجد تأييدا لها في الوقائع الامبيريقية واخيرا يرى روزنتال ويادين انه ينبغي ان تصاغ النظرية في نسق معقد من المعرفة التعميمية الذي يفيد في تفسير جوانب الواقع .

د- وكذلك تتفق وجهات نظر هؤلاء العلماء على ان هناك مجموعة من الخصائص التي تمتاز بها النظرية اذ يذهب تيماشيف الى ان النظرية هي البناء الذي يجمع اشقات النتائج المبعثرة ويوحد بينها وانها تضم قضايا خصيية ومثمة تستكشف الطريق نحو ملاحظات ابعدهمى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة . كما ان هذه القضايا ليست نهائية ويؤكد كينلوش ان قضايا النظرية مجردة ومنطقية وان عملية التنظير عملية مستمرة ودينامية وتشتمل على تغير مستمر وتعديل وهذا هو نفس المعنى الذي اقرته سيلز عندما كانت تقول ان النظرية تتسم بانها اكثر ارتباطا بالوقائع الامبيريقية . وهي ليست صياغة استاتيكية او نهائية فهي قابلة باستمرار للتغيير والمراجعة اما روزنتال ويادين فكانا يريا ان النظرية ترتبط باشياء ومصطلحات اخرى قد تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف مثل المفاهيم والتطبيق والممارسة .

ه- ويمكن ان نلاحظ ايضا الاتفاق بين وجهات نظر هؤلاء العلماء في الاجابة على السؤال : لماذا يحرص العلماء على تكوين النظرية ؟ او بعبارة اخرى ماهي وظيفة النظرية ؟ اذ يكفي ان نذكر مثلا ان تيماشيف كان يرى ان النظرية تمثل ارقى وارفع ما يمكن ان يصل اليه العلم من معرفة يستعان بها في تفسير الوقائع التي يعني بدراستها . وكذلك يؤكد كينلوش ان وظيفة التفسير تعتبر جوهرية بالنسبة للنظرية بينما ذهب روزنتال ويادين الى ان النظرية نسق يعمل على تفسير الجوانب المختلفة للوقائع وان جوهرها يهتم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا .



## المحاضرة الثالثة

### أنواع النظرية وطابعها (تتمة)

#### ثالثا: أنواع النظريات

يمثل نوع النظرية الذي قمنا بمناقشته سابقا نموذج النظرية العلمية غير أن النظريات تختلف على نحو واضح في عدد من الخصائص الأخرى على النحو التالي:-

#### الرسمية وغير الرسمية:

فقد تكون النظرية من النوع العلمي والرسمي، ويقوم بناؤها على مجموعة مسلمات يعتمد عليها المنهج العلمي أو قد تكون النظرية من النوع غير الرسمي الذي يفتقر إلى بناء، وتعتمد على مسلمات ترتبط بالحياة اليومية.

وتميل النظرية الرياضية ونظرية العلوم الطبيعية إلى الاقتراب من النموذج الأول بينما تقع الفروض المفردة والأيدولوجية والتخمينات البحثية في الفئة الأخيرة.

#### الوصفية والتفسيرية:

وبالمثل قد تكون النظرية وصفية في مجملها وتفتقر إلى نموذج تفسيري أساسي بينما تركز الأخرى على وظيفة التفسير ويقوم بناؤها على هذا الأساس وعلى الرغم من أن النظرية الوصفية قد تشمل ضمنا على تفسير لكنها تعجز عن تقويمه وذلك لغياب النموذج القياسي أو عدم وضوحه.

#### الأيدولوجية والعلمية:

قد يكون سياق النظرية أيدولوجيا على نحو واضح أو قد تكون النظرية موجهة بالمنهج العلمي وتؤكد على صياغة الفروض التي يمكن اختبارها إمبيريقيا.

إلا أن المنهج العلمي قد ينطوي على عناصر أيدولوجية أيضا ، فإنه من المهم تحديد الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها صاحب النظرية لكي نستطيع تقدير القيم التي تكمن خلف إسهامه النظري . وهكذا فليس هناك نظرية موضوعية في جملتها مهما كان يبدو هناك من موضوعية لأنها تشمل أيضا على مضامين أيدولوجية معينة.

#### الموضوعية في مقابل الذاتية:

في مقابل تلك المعارف الموضوعية والخارجية، وهكذا قد يدعى أصحاب نظريات الظواهراتية النوع الأول من المعرفة تختلف النظريات أيضا من حيث الدرجة التي تدعي بها أن معرفتها ذاتية وحسية.

بينما يتمسك غيرهم من العلماء بالنوع الأخير .ويمكن في علم الاجتماع تجسيد هذا التمييز من خلال الإشارة إلى :إسهامات علماء الأنثوميثودولوجيا من ناحية وإسهامات علماء البنائية الوظيفية من ناحية أخرى.

#### 5- الاستقرار في مقابل الاستنباطية:

قد تميل النظرية إلى واحد من نموذجين رئيسيين آخرين فهي قد تحاول الانتقال من الخاص إلى العام . وفي علم الاجتماع يكتسب هذا النوع الطابع الاستقرائي أو الانتقال من العام إلى الخاص ويكتسب النوع الثاني الطابع الاستنباطي.

ومعظم النظريات تميل إلى الطابع الاستنباطي مستخدمة ما هو عام( مثل النسق الاجتماعي) باعتباره متغيرا مستقلا في نسق التفسير الخاص بها. وتميل النظريات السيكلوجية والسوسولوجية من ناحية أخرى إلى أن تكون استقرائية في طابعها.

## 6- الوحدات الصغرى – الوحدات الكبرى:

وقد تختلف النظريات أيضا من حيث مستوى التحليل، فقد تركز على مستوى فردى محدد (الوحدات الصغرى) أو على مستوى عام ومجتمعي (الوحدات الكبرى) وتميل النظريات في علم الاجتماع إلى النوع الأخير بشكل واضح بينما تركز التفسيرات في علم النفس على المستوى الأول.

ولكل مستوى مميزاته الخاصة وأيضاً مشكلاته، حيث يميل مستوى الوحدات الكبرى إلى أن يصبح أكثر عمومية عند تفسير الظواهر الفردية. بينما يعاني تحليل الوحدات الصغرى من المشكلات العكسية.

## 7- البنائية – الوظيفية:

تختلف كذلك النظرية في تركيزها على بعض العناصر في تفسيرها لبناء الظواهر، بينما تعنى الأخرى –أكثر بالأسلوب-الذي تظهر به أو تتغير هذه الظواهر في علم الاجتماع. فمثلاً تعنى النظرية البنائية الوظيفية ببناء مجتمع معين في ضوء وظائفه الأساسية بينما تركز نظرية الصراع على ديناميكية هذا المجتمع.

## 8- الطبيعية – الاجتماعية:

إذ يستعين بعضها بالمتغيرات البيولوجية والطبيعية بينما يركز الأخرى على المتغيرات الاجتماعية. وفي النهاية تختلف النظريات من حيث أنواع المتغيرات التي تستعين بها كعوامل في التفسير

وهكذا يمكن العالم الاجتماعي تفسير السلوك الاجتماعي في ضوء الغرائز البيولوجية للإنسان (المدخل الطبيعي) أو في ضوء خصائص النسق الاجتماعي مثل تقسيم العمل، ومستوى التصنيع ودرجة النمو النظامي (التوجه النسقي) وهذان نوعان مختلفان في التفسير ولهما مضامين متباينة.

النظريات قد تختلف من حيث الخصائص، وتتضح هذه الاختلافات بالنظر إلى نظرية علم الاجتماع والتميز العام الذي يجمع بين هذه الأبعاد الثمانية، حيث تميل النظريات إلى أن تكون رسمية وتفسيرية وعلمية واستقرائية وموضوعية أو غير رسمية وصفية وأيديولوجية واستنباطية وذاتية. في علم الاجتماع تعتبر الكثير من النظريات غير رسمية ووصفية وأيديولوجية وغير تفسيرية

## رابعاً: طابع النظرية في علم الاجتماع

لاشك أنه يمكن لنا أن نستفيد من المناقشات السابقة المتعلقة باختلاف النظرية وتوضيح التعريف المحدد لها وعناصرها واختلاف أنواعها في تحديد نظرية علم الاجتماع أو على الأقل التعرف على طابعها.

يمكن القول ان معظم نظريات علم الاجتماع لا تزيد عن كونها مجرد نماذج قياسية وصفية، وهي بمثابة انعكاس لموقف فكري وأيديولوجي وتاريخي محدد، لأنها نماذج نمت وظهرت على أيدي أفراد (فلاسفة وأكاديميين ومفكرين أو غيرهم) ولدوا ونشأوا في ظل هذا الموقف الاجتماعي المحدد.

يمكن اعتبار النظرية في علم الاجتماع مجموعة من القضايا المتعلقة بالمجتمع والظواهر الاجتماعية أو هي عبارة أخرى تمثل مجموعة القضايا التي أمكن صياغتها في مصطلحات هذا العلم.

## باختصار : يمكن تعريف النظرية الاجتماعية بأنها:

مجموعة قوانين يستنبط منها استنتاجات دقيقة تسهم في تفسير وتحليل سلوك وتفكير الناس من واقعها الفعلي.

مجموعة ملاحظات دقيقة ومفاهيم وقضايا مترابطة منطقياً ومتسلسلة بانتظام تعمل على تفسير وتحليل علاقة الأحداث الاجتماعية فيما بينها وتعكس قدرة المنظر على التنبؤ الاجتماعي.

وقد أثار هذا الطابع المميز لنظرية علم الاجتماع نوعاً من الجدل والحوار بين المشغولين بالتاريخ لهذه النظرية، ومن أهمهم "نيسبت و ميلز و هومانز و زيتربرج"، وحاول كل منهم أن يبدي رأيه في الخصائص المميزة لنظرية علم الاجتماع يرى كلاً من نيسبت و ميلز أن علم الاجتماع يعتبر بمثابة شكل من أشكال الفن التقليدي ونوع من الحرفة، وعليه فإنه يقع على الطرف غير الرسمي..

أما هومانز و زيتربرج فكانا يزعمان أن علم الاجتماع يقع على الطرف الآخر (الرسمي) وأن نظرية هذا العلم تتسم بالطابع البيهيمي والمنطقي.

وكان لميرتون رأياً يتوسط بين الطرفين ويتمثل في نظرية المدى المتوسط الذي يحاول أن يصل أو يربط بين الفرد والبناء الاجتماعي من خلال مستوى الجماعة. وهكذا ظهرت هناك وجهات نظر مختلفة في تحديد نوع النظرية في علم الاجتماع، وهي وجهات نظر كانت تعتمد على تعريف كل منها للنظرية عموماً ولنظرية علم الاجتماع على وجه الخصوص.

تتطوي نظرية علم الاجتماع على مسلمات متباينة ومجموعة مناهج مختلفة وأراء متعددة فيما يتعلق بأهداف النظرية ومن هنا ظهر أنها تمثل مجموعة من القوالب الفكرية أكثر مما تشكل مجموع منظورات متجانسة.

ولم تتجاوز معظم نظريات علم الاجتماع مرحلة النموذج القياسي (بمعنى الصياغة التصورية المحددة للظواهر). ولم تفلح معظم نظريات علم الاجتماع مهما كان منظورها في أن تقترب من النوع المنطقي الذي أشار إليه هومانز (الرسمي)

وكانت هذه النماذج القياسية التي لها جذورها في سياق فكري ومجتمعي وشخصي معين، تستخدم في تفسير الظواهر الاجتماعية... وهكذا تختلف النماذج النظرية القياسية في علم الاجتماع.

### ما هي مجموعة الظروف المجتمعية والفكرية والشخصية التي أثرت على نمو وتطور النظرية في علم الاجتماع؟

**1- الظروف المجتمعية:** نشأت نظرية علم الاجتماع استجابة لظروف مجتمعية خاصة بالثورات السياسية والتغير الاقتصادي ولآثار التصنيع وتطور العلم، وعليه ظهرت النماذج القياسية استجابة لتطورات مجتمعية مثال: أن النظرية العضوية نشأت استجابة إلى الثورة في أوروبا والتأكيد على اضطراب النظام الاجتماعي والضبط بينما تمثل البنائية الوظيفية استجابة إلى حاجات اقتصادية عرفت في أمريكا خلال عام 1930.

وقد ظهرت **نظرية الوحدات الكبرى** عموماً استجابة لحاجات تكنولوجية واقتصادية للمجتمع، ثم تحول الاهتمام أخيراً إلى السبير نيطيقا ونظرية الأنساق وهكذا فإن النموذج القياسي البنائي الوظيفي والعضوي قد ظهر أساساً استجابة إلى حاجة المجتمع إلى تدعيم أو تطوير نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي معين.

وقد ظهر **النموذج الراديكالي** المهتم بالصراع أساساً على يد أولئك الذين عاصروا الصراع السياسي والظلم، وظهرت **النظرية الماركسية** المبكرة تحت هذه الظروف بينما ظهر علم الاجتماع الراديكالي ونظرية الصراع الحديثة في عام 1960 استجابة للوعي المتزايد بالآثار المحزنة لعمليات التصنيع والالتزام علم الاجتماع بالمحافظة على الوضع الراهن.

قد ينظر إلى النموذج القياسي السوسيو سيكولوجي وإلى السلوكية الاجتماعية على أنهما يعكسا التطور في النزعة السلوكية في العلم، و**ظهور البرجماتية** والتأكيد على المنهج العلمي والتأكيد المصاحب على خصائص الفرد أكثر من العناية بخصائص المجتمع.

وتوضح الاستجابات- إلى حاجات التكنولوجيا الصناعية في صورة علم نفس صناعي وعلم اجتماع

-علاقة الفرد بالجماعة

وعلى النتائج الفردية للمجتمع البيروقراطي والتكنولوجي

وعلى المنهج العلمي (الأمبيريقية)

التأكيد المتزايد للمجتمع على النزعة البرجماتية (بمعنى الرأي القائل بأن الحقيقة هي المعرفة المفيدة)

وينظر إلى تأكيد علم الاجتماع المتزايد على النظرية السيكوسوسيولوجية والوحدات الصغرى على أنه استجابة إلى:

**1- نظرية علم الاجتماع** تمثل إذن: استجابة أساسية من جانب علم الاجتماع لمجموعة حاجات مجتمعية ولمجموعة محددة من الظروف والتأكيدات المعيارية وتشتمل هذه الظروف على حاجات اقتصادية وسياسية ومجتمعية وعلى معايشة للظلم وعلى نمو العلم باتجاه المنظور السيكوسوسيولوجي والوحدات الصغرى.

**2- السياق الفكري:** اسهمت مجموعة من العناصر الفكرية النامية في هذا العصر في تحديد نظرية علم الاجتماع وبخاصة تلك المجموعة من القيم التي تعكس مراحل متباينة من انتقال المجتمع وتحوله تجاه عملية التصنيع وهكذا تأثرت النظرية المبكرة بفلسفة حركة التنوير التي تؤكد على النزعة الطبيعية وعلى الرشد وعلى المماثلة العضوية.

وكانت الفروض المتعلقة بالطبيعة الإنسانية أحد دعائم **نظرية الصراع الماركسية**، وكانت الصلة بين أنساق الفكر المبكرة مثل إليوتوبيا ولهوت العصور الوسطى وبين النظرية المبكرة في علم الاجتماع صلة واضحة.

ثم سيطرت روح البرجماتية والتطبيق المصاحب للمنهج العلمي على الموقف الفكري وخاصة في الولايات المتحدة وكانت النتيجة: **التحول نحو نظرية أكثر سيكوسوسيولوجية مع الاهتمام بالوحدات الصغرى.**

وهكذا كان للبيئة الفكرية التي تحيط بأصحاب النظريات أثرا واضحا على أعمالهم كما أثرت أيضا استجابة قرنائهم المفكرين وتشجيعهم ودعمهم وتأبيدهم على تفكيرهم سواء كانت هذه البيئة مؤيدة أو ناقدة، مما نجم عنه أنماط في التفكير جديدة ومتغيرة وكانت المشاركة مع مفكرين آخرين والدعم الأكاديمي والاقتصادي من جانب الجامعة كان له أهمية خاصة في إثارة أصحاب النظريات وفي نظرياتهم.

وهكذا أصبح علم الاجتماع جزء من نظام الجامعة وبرامجها وأخذ ينتشر من خلال دورياتها الأكاديمية وحقق نموا قويا مع إيقاظ البرجماتية العلمية التي تؤكد على النواحي الأمبيريقية أكثر من عنايتها بالنواحي النظرية فظهرت النظرية المبكرة في سياق فكري تميز باهتمامه بعملية التنظير المجردة والفلسفية

**3- سياق السير الشخصية:** ان وضع الفرد في البناء الاجتماعي يترك أثرا قويا عليه وعلى إدراكه وتصوره للمجتمع وبالتالي على نوع نظرية علم الاجتماع التي يعمل على بلورتها. لقد انحدر أصحاب نظريات البنائية الوظيفية العضوية من أصول الطبقة العليا، حيث يمثل الضبط الاجتماعي وتنمية المجتمع قضايا محورية على هذه المستويات.

وكان أصحاب نظريات الصراع أكثر تعرضا للحرمان والظلم وبالتالي كانوا يفهمون المجتمع ويرونه من خلال مصطلحات الصراع والتنافس، وهذا يعنى أنه كانت لهم خبرات مجتمعية مغايرة.

وأخير! وبما أن الروح البرجماتية أكثر وضوحا بين أبناء الطبقة الوسطى، فتوصف نظريات السلوكيات الاجتماعية والسيكوسوسيولوجية بأن مصدرها هذا القطاع من أبناء المجتمع طالما أن علم الاجتماع المعاصر يميل للتعبير عن نظم الطبقة الوسطى.

ويحدد الوضع الاجتماعي لأصحاب النظرية في المجتمع وجهة نظره السوسيولوجية عموما وتؤثر خبرات أخرى مثل العلاقات الشخصية والاتصال بباحثين آخرين في فكر أصحاب نظريات معينة يبدو أن المستوى الطبقي الاجتماعي للفرد له تأثيره في هذا الصدد عموما.

وهكذا أوضحنا عددا من الظروف الشخصية والفكرية والمجتمعية وأثرها على تطور نماذج قياسية رئيسية في نظرية علم الاجتماع

ورأينا أن النموذج القياسي يمثل استجابة صاحب النظرية لهذه العوامل الثلاثة مجتمعة على النحو التالي:

إذ تمثل **البنائية الوظيفية العضوية** عموما استجابة أفراد معينة من الطبقة العليا لحاجات اجتماعية واقتصادية وسياسية متأثرين بروح فلسفة التنوير ويميل **النموذج الراديكالي** المهتم بالصراع من ناحية أخرى إلى التأثر بخبرة أفراد من الطبقة الدنيا الذين عانوا من الظلم السياسي والاقتصادي.

أخير إقد ينظر إلى نموذج السوسيو سيكولوجي أو السلوكية الاجتماعية على أنه استجابة البرجتين من الطبقة الوسطى إلى الحاجات الملموسة للمجتمع الصناعي والتحليل على مستوى الوحدة الصغرى.

وبالختام تمثل نظرية علم الاجتماع الاستجابة لمجموعة معينة من الأكاديميين (ليسوا بالضرورة من علماء الاجتماع) للحاجات الملموسة للمجتمع في سياق يجمع بين مجموعة محددة من القيم الفكرية والخبرات المجتمعية ولذلك كلما طرأ تغير على المجتمع وكذلك الحاجات الملموسة يطرأ على نظرية علم الاجتماع تتغير أيضا ، وبخاصة أنها تأثرت بشكل متزايد بالبرجماتية والمنهج العلمي.

وتمثل نظرية علم الاجتماع بهذه الطريقة استجابة الباحث للمجتمع في مرحلة معينة من مراحل تطوره عندما يحاول تفسير هذا التطور وتقديم الحلول لمشكلاته الحيوية ولهذا تعد نظرية علم الاجتماع بمثابة استجابة فكرية مستمرة لواقع اجتماعي ملموس أكثر منها نشاط مجرد.

## المحاضرة الرابعة

### النظرية والبحث في علم الاجتماع

#### تمهيد:

على الرغم من أن البعض قد استطاع أن يميز في تاريخ علم الاجتماع بين مجموعتين من علماء الاجتماع:

مجموعة العلماء الذين كانوا يحاولون قبل كل شيء التوصل إلى التعميمات ويبحثون عن الطرق التي تمكنهم من صياغة القوانين السوسولوجية مغفلين أهمية جمع الملاحظات والبرهنة على هذه التعميمات والقوانين مجموعة أخرى من العلماء الذين يغرّقون في إجراء البحوث الأمبريقية دون أن يهتموا بالربط بين وقائع هذه البحوث وحتى تفسير حدوثها.

إذ لم تعد ترى اليوم نموذج عالم الاجتماع الذي يهتم فقط بالقولب الفكرية الخالصة دون إدراك صلتها بالواقع إلا أن التطورات التي طرأت على علم الاجتماع خلال السنوات الأخيرة تؤكد لنا أن هذه الاتجاهات قد أقل نجمها كما لم نعد نرى نموذج عالم الاجتماع الذي يقع فريسة الوقائع ويغرق في الإحصاءات دون أن يهتم بتفسير هذه الوقائع والبحث عن دلالتها النظرية.

وإنما أخذ المنظر يشارك زميله الباحث في العمل، وأخذوا يتبادلون أطراف الحديث فيما بينهم بل أخذ عالم الاجتماع الواحد يتحدث إلى نفسه طالما كان اهتمامه ينصرف إلى النظرية بقدر انصرافه إلى البحث، ولقد ساعد كل هذا على تأكيد العلاقة بين النظرية والبحث، وإدراك الطبيعة التفاعلية لهذه العلاقة.

بمعنى أن هذه العلاقة لا تسير في اتجاه واحد من النظرية إلى البحث أو العكس فقط، وإنما تسير في اتجاهين متضادين

- يشير الاتجاه الأول إلى أثر النظرية في البحث
- ويشير الاتجاه الثاني إلى أثر البحث في النظرية.

#### أولاً: أثر النظرية في البحث

تؤثر النظرية السوسولوجية في البحث من عدة وجوه:

- 1- إذ تعمل النظرية على توجيه دوائر البحث نحو الموضوعات المثمرة
- 2- وتضفي المغزى والدلالة على النتائج الغافلة
- 3- كما تساعد توجيهاتها وتعميماتها ومفاهيمها على تنمية وتطوير البحث من ناحية أخرى.

#### 1- توجيه النظرية للبحث نحو الموضوعات المثيرة.

تحدد النظرية مسار واتجاه البحث وتعمل على توجيهه نحو تناول الموضوعات التي يحتمل أن تكون أكثر إثماراً من غيرها والمثال البارز في تراث علم الاجتماع الذي يوضح هذه الوظيفة الأساسية للنظرية بالنسبة للبحث هو مثال نظرية ( كوهن )

حيث أن نظرية " كوهن " التي قدمها لتفسير تكوين الثقافة الفرعية الإنحرافية في بعض قطاعات المجتمع الأمريكي، وهي نظرية أقامها بناء على نتائج البحوث السابقة حول السلوك الإنحرافي وأسسها من خبراته الخاصة بسلوك عصابات الجانحين، واعتمد فيها على بعض النظريات الأخرى في ميدان علم النفس والاجتماع، ولقد رتب كوهن قضايا نظريته على النحو التالي:-

أ- يهدف كل سلوك إنساني إلى حل بعض المشكلات.

ب- بالرغم من أن لكل أعضاء المجتمع مشكلات يعانون منها إلا أن المشكلات من الأنواع المتباينة لا توزع بطريقة عشوائية بين أعضاء المجتمع، وإنما يحتمل أن يواجه أعضاء الطبقة العاملة أنواعاً معينة من المشكلات بدرجة تفوق ما يواجه أعضاء طبقة الموظفين، كما يواجه صغار السن هذه المشكلات بمعدل يفوق ما يواجه الكبار، ويواجه الذكور مشكلات تفوق ما يواجهه الإناث.... وهكذا.

ج- يعتبر وجود عدد من الأفراد يتفاعل بعضهم مع البعض الآخر ولهم نفس مشاكل التكيف شرطاً أساسياً لتكوين أنماط ثقافية جديدة.

د- ويشترط أساساً لتكيف الفرد أن يرضى عنه زملاؤه الآخريين الذين تكون لهم أهمية من وجهة نظره.

ه- ولكنه من الصعب أن يتحقق للكثير من أبناء الطبقة العاملة مثل هذا الشرط حيث تستخدم معايير الطبقة الوسطى في الحكم على أوجه نشاط هؤلاء الأبناء في المدارس ، ومراكز الترفيه وغيرها من مجالات النشاط في المجتمع الأكبر غير أنهم لا يكونوا مهيين لمجارات مثل هذه المعايير.

و- وتتغلب الثقافة الفرعية الإنحرافية على هذه المشكلة عن طريق تنمية معايير يستطيع هؤلاء الأبناء مجاراتها.

ز- وبما أن معايير الطبقة الوسطى تغرس جزئياً في نفوس معظم أبناء الطبقة العاملة، فإنه يترتب على ذلك نشوب الصراع بين هذه المعايير ومعايير الثقافة الفرعية للعصابات الجانحة.

ح- ولحل هذا الصراع ترفض الثقافة الفرعية الإنحرافية معايير الطبقة الوسطى بكل رموزها ومكانتها، وترفع من شأن معايير العصابة الجانحة.

ويعلق كوهن على هذه القضايا النظرية قائلاً : أنها تقترح البحث عن وقائع وبيانات أكثر دقة ووضوحاً من نوع مغاير بعض الشيء لتلك الوقائع والبيانات التي يتم جمعها عادة من البحوث التي تجرى عن السلوك الإنحرافي.

وذلك لأنه إذا كانت هذه البحوث الأخيرة تعتمد على الإحصاءات الرسمية التي تعدها الهيئات الاجتماعية فإن هذه الإحصاءات والتقارير لا تعكس كل الأفعال الإنحرافية التي تقع بالفعل. كما أنها لا تقدم لنا صورة دقيقة وغير متحيزة عن كيفية توزيع حالات الانحراف على القطاعات المتباينة للمجتمع.

ومن أجل هذا يقترح كوهن في ضوء نظريته ضرورة أن يبدأ البحث باختيار عينة عشوائية من جمهور الأحداث (المنحرفين وغير المنحرفين) في منطقة معينة.

ومن خلال المقابلات الشخصية الواعية والوثيقة يسهل تحديد الأفعال الإنحرافية التي تقع بالفعل بين أفراد هذه العينة، ويضيف كوهن إلى ما سبق أن نظريته تقترح فضلاً عن الاهتمام بدراسة علاقة تصدع الأسرة والشخصية والحي وما إليها بضرورة:

1- توفير الوقائع حول السلوك المنحرف نفسه،

2- حول الطبيعة الفردية والجمعية للنشاط الجانح

3- حول الكيفية التي تختلف فيها الانحرافات في المواقف الفردية والجماعية.

بمعنى الاهتمام بدراسة بناء هذه الجماعات ودينامياتها وتاريخها وثقافتها الفرعية.

وهكذا يوضح لنا مثال نظرية كوهن كيف تعمل النظرية على توجيه البحث نحو موضوعات يحتمل أن تكون أكثر إثماراً من غيرها من الموضوعات التي اعتاد البحث في نفس مجال هذه النظرية أن يطرقها.

2- تضيف النظرية على نتائج البحث دلالة ومعزى.

• إذ تعمل النظرية على:

• تسهيل إدراك النتائج التي يصل إليها البحث

• لأن البحوث الإحصائية قد توصلنا إلى نتيجة تبين أن عصابات الجانحين تشيع بنسبة أكبر بين أحياء الطبقة العاملة منها بين أحياء الطبقة المتوسطة فإن هذه النتيجة في حد ذاتها لا تضيف الكثير إلى فهمنا للسلوك الإنحرافي.

لكن النظرية تساعد على إدراك مغزى الارتباط بين عصابات الجانحين وأحياء الطبقة العاملة. وهذا يضيف دلالة واضحة على هذه النتيجة.

إن ربط هذه النتيجة بمفهوم أكثر عمومية يساعد على التنبؤ بحدوث هذه الظاهرة أو تغييرها في المس تقبل إلى حد نطمئن إليه أكثر من مجرد الاعتماد على النتائج في حد ذاتها.

الأمر الذي يجعل بالإمكان وضع الحلول واقتراح خطوات الحد من الانحراف (مثل زيادة خدمات الترفيه وتدعيم الخدمات الترفيهية والاستشارية لطلبة المدارس، وزيادة الرقابة على الكتب، ومد آباء المنحرفين بالإعانات المادية، وزيادة عدد رجال الشرطة في المناطق التي يتزايد فيها معدل الانحراف).

### 3- تنطوي النظرية على توجيهات عامة تمدنا بالسياق الذي يجري البحث في نطاقه.

إذ تشتمل مثل هذه التوجيهات على المسلمات المتعلقة بنماذج المتغيرات التي يجب أن نأخذها في الاعتبار أكثر مما تشير إلى العلاقات القائمة بين هذه المتغيرات، ومن أمثلة هذه التوجيهات ما ذهب إليه "دور كهاميم" قائلًا: "أنه يجب البحث عن سبب الحقيقة الاجتماعية بين الحقائق الاجتماعية الأخرى التي تسبقها.

وأن) المعايير المفروضة هي العامل الاجتماعي الذي يوجه السلوك). وكذلك توجيهه "زنانكي" و"سوروكين": ( أن المجتمع باعتباره نسفا متكاملًا يتكون من اجزاء متساندة وظيفيا ومرتبطة فيما بينهما).

ورغم أن هذه التوجيهات لا تحدد فروضا معينة إلا أنها تقوم بوظيفة أساسية هي أنها تمدنا بسياق للبحث يسهل عملية التوصل إلى هذه الفروض إلى حد أن الباحث الذي يتجاهل نظام الحقائق المتضمنة في هذه التوجيهات يعرض نفسه للخطر.

ومن أبرز الأمثلة على دور التوجيهات النظرية في توفير سياق للبحث محاولة "مالينوفسكي" إعادة اختبار الفرض الفرويدي المتعلق بعقدة أوديب، وذلك في ضوء التوجيه السوسيولوجي الذي يعتبر أن تكوين العاطفة أمرًا يتأثر بالبناء الاجتماعي.

وقد ساعده هذا التوجيه على الكشف عن أن حقيقة هذه العقدة السيكولوجية في علاقاتها بنسق علاقات المكانة في مجتمع بدائي مختلف في بنائه عن ذلك المجتمع الأوروبي الغربي، وذلك من خلال الإفادة من مجموعة من الفروض غير الناجمة عن هذا التوجيه، وإن كانت كلها تتفق معه.

• حيث يسهل هذا التوجيه عملية تدفق الفروض الواحد تلو الآخر في تعاقب مستمر والتي أثمر اختبارها في البحث عن حقائق سوسيولوجية هامة.

### 4- توجيه مفاهيم النظرية وتصوراتها عملية جمع وتحليل معطيات البحث.

هناك اعتقاد خاطئ بأن النظرية تتكون من مجموعة مفاهيم، غير أن عملية صياغة المفاهيم والتحليل التصوري ليست إلا جانباً جوهرياً في أي عمل نظري، إذن ليست مجموعة مفاهيم؛ المكانة والدور والمجتمع المحلي والتفاعل الاجتماعي والمسافة الاجتماعية والأنومي، إلا جزءاً في بناء نسق النظرية.

المتغيرات التي ينبغي أن يتناولها البحث، والقضايا المرتبطة منطقياً فيما بينها، واختبار المفاهيم للتوصل إلى العلاقات وتحديدتها، كل هذا يعد أمراً حاسماً بالنسبة للبحث، لأنها توجه عملية جمع وتحليل المعطيات بدقة وإحكام ومن ثم تقلل من احتمالات خطأ النتائج الأمبريقية التي تتجمع في ضوء هذه المفاهيم.

• وتعتبر محاولة "سدرلاند" لإعادة النظر في المفهوم الدارج للجريمة مثلاً بناءً على الكيفية التي تحدث بها توضيح المفهوم مراجعة للفروض المتعلقة بالبيانات التي تم جمعها في ضوء هذا المفهوم.

وقد توصل "سدرلاند" بعد الدراسة والبحث في علم الجريمة إلى أن مخالفات القانون الجنائي التي يرتكبها أعضاء الطبقات الاجتماعية العديدة يتم تسجيلها بطريقة واحدة في الإحصاءات الجنائية.



## تؤثر مفاهيم النظرية وتصوراتها في:

- ❖ عملية جمع وتحليل معطيات البحث.
- ❖ حل التناقضات الملاحظة بين النتائج
- ❖ توجيه فكر الباحث وسلوكه وإدراكاته
- ❖ تحديد الموقف الذي يستجيب له الباحث
- ❖ تحديد المؤشرات التي يمكن أن يهتم بها الباحث بملاحظتها في الواقع

وهذا ما حاوله "تولمان" و"هل" عندما قاما بتحديد مؤشرات لمتغيرات مثل التماسك الاجتماعي ولغيرها من المفاهيم والأبنية الفرضية التي يمكن ملاحظتها في الواقع وتجد تدعماً لها من جانب النظرية.

## ثانياً: أثر البحث في النظرية.

تذخر دوريات ومراجع علم الاجتماع بالمناقشات التي تركز على بيان دور النظرية في البحث وتوضيح وظيفة النظرية في توجيه البحث واستمراره، سنواصل هذه المناقشات ونتناول أثر البحث في النظرية. ومن الواضح أن أثر البحث في النظرية لا يقف عند الدور السلبي المتعلق بالتحقق من فروض النظرية واختبارها، وإنما يتجاوزها إلى دور إيجابي آخر له أربعة وظائف حيث يمكن للبحث أن يسهم في بدأ النظرية وفي إعادة صياغتها وتعديلها وتوضيحها.

## 1- يسهم البحث في تطوير النظرية

إذا كان لدينا نظرية قد حبكت صياغتها حول ما سوف يحدث في مواقف متباينة وفي ظل ظروف محددة، فإنه بالإمكان أن نستخلص استنتاجات تأخذ صورة فروض توجه البحث، وإذا أمكن إثبات صحة هذه الفروض عن طريق تجارب صممت لهذا الغرض، فإن هذا البحث يسهم في التحقق من بناء النظرية في جملتها.

أما إذا لم يتمكن البحث من البرهنة على صحة الفروض فإنه يكون من الضروري إعادة اختبار النظرية مرة ثانية، والنظر فيما إذا كان من الواجب استبعادها لأنها غير صالحة أو ما إذا كان ينبغي إدخال بعض التعديلات على بنائها، ثم استخلاص استنتاجات منها وصياغتها في صورة فروض تخضع للبحث، للتأكد من أن هذه النظرية المعدلة تجد ما يدعمها في الواقع.

وهكذا لا يسهم البحث فقط في التحقق من فروض النظرية وإنما يسهم أيضاً في تطوير أو تعديل النظرية والواقع أن إسهامات البحث في تطوير النظرية قد تكون مقصودة ومخطط لها، أو قد تكون عرضية غير مخطط لها كما يلي:-

## أ- التخطيط لتطوير النظرية:

• أن عالم الاجتماع الذي يشرع في تطوير بعض جوانب النظرية يتبع أحد طريقتين أو كلاهما، إما أن يعيد النظر في الدراسات القائمة أو يختبرها ثانية، أو قد يضع مشروع خطة لبرنامج من الدراسات تركز على المشكلة التي يهتم بها، ويراعى الارتباط بين نتائج هذه الدراسات. بمعنى آخر:

• لا يمكن في كلا الحالتين أن يبدأ هذا العمل من نقطة لا تستند إلى دراسات سابقة أو صياغات نظرية أخرى أو ملاحظات خاصة، وإنما يبدأ عادة من تصورات معينة واحتمالات محددة يكونها في ذهنه لصياغات بديلة ويحاول إجراء اختبار المقصود للدراسات الموجودة، أو وضع خطة للدراسات المقترحة التي لا بد من تنفيذها في ضوء هذه الصياغات البديلة القابلة للتغيير بدورها.

هناك مثال يوضح كيفية التخطيط للنظرية نستمد من كتاب (ميرتون و روسي) وهو باسم: إسهامات في نظرية سلوك الجماعة المرجعية، حيث كانت المادة التي أعادها النظر فيها تشتمل على بحوث الجماعات الصغيرة المتضمنة في كتاب الجندي الأمريكي الذي أعده (ستوفر) وآخرون عام 1949 م.

ويوجد مثال آخر على التخطيط لتطوير النظرية من خلال وضع مشروع خطة لبرنامج من البحوث التي تتركز على مشكلة معينة نستخلصه من برنامج بحوث الاتصال الذي نظمه جامعة (بيل) من أجل تطوير نظرية الاتصال الإقناعي.

## ب - الصدفة في تطوير النظرية:

• يسهم البحث في تطوير النظرية عن طريق الصدفة والاتفاق وعلى نحو لم يخطط له سلفاً، وذلك من خلال ملاحظة وقائع غير عادية أو غير متوقعة أو إستراتيجية يفيد في تقديم فروض نظرية جديدة أو في توسيع نطاق نظرية قائمة.

ومثال على ذلك دراسة (ميرتون) عن التنظيم الاجتماعي لمدينة (كرافتون) الأمريكية حيث سلط الضوء على الأنواع الثلاثة من الملاحظات غير العادية وغير المتوقعة والإستراتيجية وأثرها في تطوير النظرية على نحو لم يخطط له مسبقاً.

• وهكذا تكتسب الملاحظة غير العادية وغير المتوقعة صفة الإستراتيجية لأنها تنسق مع مضامين النظرية السوسولوجية التي سبق أن صاغها ماركس بقوله أن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعي الأفراد، وعبر عنها دوركايم بقوله أن التصورات الجمعية تعكس الواقع الاجتماعي.

• **العوامل الاجتماعية تعتبر بمثابة الإطار للإدراك، وأوضحتها سوسولوجيا المعرفة عندما ذهبت إلى أن الوضع الاجتماعي يحدد الاتجاهات النظرية والأفكار**، كما أن هذه الملاحظة تعمل على توسيع نطاق النظرية لأنها تضيف إليها قضية جديدة مؤداها أن الإدراك أو الاعتقاد يعد نتاجاً للبناء الاجتماعي.

### 2- يسهم البحث في إعادة صياغة النظرية.

يعمل البحث على إعادة صياغة النظرية وتوسيع نطاقها عن طريق الملاحظة المتكررة للوقائع التي لم تكن متضمنة في الإطار التصوري والتي قليل ما يهتم بها في التحليل، ويصعب حصر الأمثلة التي يمتلأ بها علم الاجتماع والتي توضح الكيفية التي يسهم بها البحث في إعادة صياغة النظرية، ولكن في مقدمة هذه الأمثلة، يذكر سلسلة نتائج البحث الجديدة التي أدت مالمينوفسكى إلى أن يعيد صياغة نظرية السحر.

### 3- يسهم البحث في إعادة تحديد محور اهتمام النظرية.

• عندما يبتكر البحث أساليب وإجراءات جديدة يستعين بها في تجميع الوقائع وتحليلها، فإنه قد تغير محور اهتمام النظرية نحو البحث مرة ثانية، ونحو مجالات تزيد من توافر البيانات والوقائع حول هذه المحاور التي تغيرت نحوها النظرية.

والأمثلة على إسهام البحث في تغيير محور اهتمام النظرية عديدة في تراث علم الاجتماع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما ترتب على ابتكار أساليب تحليل المضمون والجداول والاستبانات المركزة وغيرها.

وإستخدامها في البحث وتراكم وقائع وبيانات كثيرة وجديدة غيرت من اهتمام نظرية الدعاية نحو إمكانية استخدام الدعاية كوسيلة للضبط الاجتماعي والتحكم في ظروف المجتمع العالمي المتغيرة بأنساقه الأيديولوجية وتكنولوجيته الحديثة الخاصة بالاتصال بالجمهور واستخدامها كسلاح في الحرب الدائرة بينها. وما ترتب على الإستفادة من الأساليب الإسقاطية الجديدة، وتفهم الموضوع وتكملة القصة من وقائع وبيانات إعادة تحديد محور الاهتمام في نظرية الطابع وتكوين الشخصية في علاقتها بالبناء الاجتماعي.

وما ترتب على ابتكار مورينو للأساليب السوسيومترية من إحياء الاهتمام بنظرية العلاقات الشخصية المتبادلة وتغيير محور اهتمام النظرية نحو الجماعات الأولية، والأبنية الاجتماعية غير الرسمية التي تتوسط بين الفرد والتنظيمات الرسمية الكبيرة والذي وجد صدق واسع في التراث المتعلق بدور الجماعة غير الرسمية في الأنساق الاجتماعية للمصنع على سبيل المثال. ولكن مع كل هذه الأمثلة التي توضح أثر البحث في تغيير محور اهتمام النظرية ينبغي ألا يغيب عن ذهننا أن هذا الأثر يتوقف على أن تكون الوقائع السوسولوجية التي توصلنا إليها أساليب البحث الجديدة داخلة في إطار مقولات وثيقة الصلة بالنظرية.

### 4- يسهم البحث في توضيح مفاهيم النظرية.

ينصرف أكبر جانب في ذلك العمل الذي يعرف باسم التنظير نحو الاهتمام بتوضيح مفاهيم النظرية. ويتحقق إسهام البحث في توضيح مفاهيم النظرية عن طريق تحديد مؤشرات للمتغيرات موضوع الاهتمام.

## المحاضرة الخامسة

### تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع

#### تمهيد:

تتعدد نظريات علم الاجتماع وتتنوع أطرها المرجعية حسب ارتباطها بأسماء أصحابها ويشكل هذا الكم الضخم من إسهامات علماء الاجتماع في نطاق النظرية تراثاً نظرياً يتطلب البحث عن وسيلة مناسبة لاستيعاب هذا التراث النظري في علم الاجتماع.

#### أولاً: معنى التصنيف وأهميته:

**التصنيف** هو عملية اختزال أو إعادة ترتيب أو تنظيم لمجموعة مبعثرة من العناصر عن طريق الاستعانة ببعض الأساليب الفنية ووضع هذه الفئات البعيدة عن بعضها في فئات محدودة وواضحة.

**التصنيف** هو عملية وصف مختصرة لمجموعة لا حصر لها من العناصر وردها إلى مجموعة أكثر تحديداً.

#### شروط التصنيف:

- ❖ أن تشتق مجموعة الفئات المحددة والواضحة من فكرة أو أساس تصنيفي واحد
- ❖ أن تكون مجموعة الفئات شاملة لكل عنصر من عناصر الموضوع المراد تصنيفه مكاناً في المجموعة.
- ❖ أن تكون فئات المجموعة الواحدة مانعة للتبادل فيما بينها.

#### ثانياً: نماذج تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع:

لعل ما قدمه (التر والاس - وبيرس كوهن - وهلمت فاجنر) من محاولات في تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع يعد من أشهر هذه المحاولات، ويمكن عرض أهم هذه النماذج من التصنيف كما يلي:-

- 1- تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع إلى اتجاهات.
- 2- تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع في ضوء تفسير النظام الاجتماعي.
- 3- تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع على ضوء طابع العلم وأهدافه الأساسية.

#### (1) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع إلى اتجاهات :

تقدم والتر والاس تصنيفاً لتراث النظرية في علم الاجتماع يشتمل على ثمان اتجاهات هي: الاتجاه الأيكولوجي والديموجرافي والمادي والسيكولوجي والتكنولوجي والبنائي والتفاعلي الرمزي والفعل الاجتماعي.

- أ -الاتجاه الأيكولوجي
- ب -الاتجاه الديموجرافي
- ج -الاتجاه المادي
- د -الاتجاه السيكولوجي
- هـ -الاتجاه التكنولوجي
- و -الاتجاهات البنائية الاجتماعية (الوظيفية -التبادلية - الصراع)
- ز -التفاعلية الرمزية
- ح -نظريتي الفعل الاجتماعي والملزمات الوظيفية

يجمع كل اتجاه منها بين نظريات عدد كبير من العلماء الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة وظهروا في فترات تاريخية متباعدة وذلك في ضوء فكرة أساسية تجمع بينهم وتجعلهم يفسرون كل ما هو اجتماعي على نحو معين ، وتنعكس هذه الفكرة في كتاباتهم.

## أ- الاتجاه الأيكولوجي:

يقدر التعريف الأيكولوجي الظواهر الاجتماعية على أساس ظروف خارجية مفروضة عليها، وفي ضوء الخصائص البيئية للمشاركين وهي خصائص تتميز بأنها غير بشرية في الغالب.

والثقافة هنا تكون طريقة لتطوير أساليب فنية تساعد السكان على الاستمرار في البيئة.

عرف (كوين) الأيكولوجيا البشرية بأنها دراسة العلاقات بين البشر التي تتأثر بالموارد المحدودة للبيئة بمعنى أننا نصف الدراسة السوسولوجية بأنها أيكولوجية عندما تستخدم المؤثرات البيئية كأساس ومبادئ للتفسير.

ويؤكد (دنكن) أن النظم الاجتماعية بوصفها مبادئ أو أسس يعتمد عليها التفسير، لا تستمر على ما هي عليه دائماً، ولكنها تتعدد وتتغير باستمرار لكي تتوافق مع الظروف البيئية، بل أن هذا التعديل ذاته إما أن يرجع إلى تغير في البيئة أو إلى نمو وتطور تكنولوجي.

أما (بارك) فقد ذهب إلى أن النظم الأيكولوجية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية ترتبط فيما بينها على شكل تسلسل أو تدرج هرمي قاعدته النظام الأيكولوجي وقمته النظام الأخلاقي.

## ب- الاتجاه الديموجرافي:

يفرق (هاوزر و دنكن) بين استخدام مصطلح الديموجرافيا (ضيق- واسع)

" التحليل الديموجرافي يقتصر على دراسة مكونات التباين السكاني وتغيره. أي تهتم الدراسات السكانية بمتغيرات السكان، وأيضاً بالعلاقات بين متغيرات السكان ومتغيرات أخرى اجتماعية-اقتصادية - سياسية بيولوجية - نشئية وجغرافية.. الخ.

### إدراك الديموجرافية

❖ من منظور ضيق: فهي مرادفة للتحليل الديموجرافي

❖ من منظور واسع: فهي تتضمن التحليل الديموجرافي

وهنا نهتم بالتعريف الواسع للديموجرافيا الذي يشير إلى الاتجاه الديموجرافي

فهو يقدم تفسيرين متميزين للظواهر الاجتماعية: باعتبارها تتأثر بعدد أو حجم المشاركين فيها، وبالتغيرات التي تطرأ على هذا الحجم نتيجة معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة

ومن المسلم به أن فكرة تأثير حجم السكان على طبيعة الظواهر الاجتماعية فكرة قديمة في علم الاجتماع، فقد أشار إليها كل من (ماتس وزيميل ودور كايم).

وهكذا يمكن القول أن الاتجاه الديموجرافي يقدم تفسيرات تركز على الخصائص البيئية للمشاركين باعتبار أن هذه البيئة تنطوي على أعداد معينة للسكان.

الاتجاه الديموجرافي يكشف عن العلاقات الموضوعية التي تظهر في عمليات: التحضر والإنتاج الاقتصادي والأنساق السياسية والأنساق التربوية، والأنماط الذاتية للسلوك مثل القيم الثقافية.

## ج- الاتجاه المادي:

يحدد (ماركس وانجلز) جوهر التفسير المادي بقولهما: أن الحقيقة التاريخية الأولى هي إنتاج وسائل الحاجات الأساسية: أي إنتاج الحياة المادية ذاتها.

وتوضح عبارات (ماركس وانجلز) الواردة في مؤلفهما إسهامات في نقد الاقتصاد السياسي والأيدولوجية الألمانية، الأولوية التي منحها كل منهما للبناء الاقتصادي للمجتمع باعتبار أنه يشبع الحاجات الفسيولوجية للإنسان من مأكّل ومشرب وملبس وماوى.

- ❖ **الاتجاه المادي** يؤكد على الطبيعة السيكلوجية وحاجات الإنسان في تفسيرها للظواهر الاجتماعية
- ❖ **الاتجاه الأيكولوجي** يميل إلى تأكيد البيئة اللإنسانية
- ❖ **الاتجاه الديموجرافي** يحاول إثبات أثر البيئة اللإنسانية.

#### د -الاتجاه السيكلوجي:

يظهر التأكيد على أهمية المتغيرات السيكلوجية في تفسير مقولة "الاجتماعي" واضحاً في كتابات جورج هومانز ، إذ أن الجماعة في رأيه تحتاج إلى **تدعيم التعاون ومجموعة من الأنشطة وإطار محدد للتفاعل** بين الأعضاء لكي تحقق استمرارها.

وقد أكد هومانز في كتابه عن **السلوك الاجتماعي** أهمية الدوافع النفسية المفروضة على الجماعات في تفسير بناء الجماعة : النشاط والتفاعل والمعايير والعواطف التي تنشأ عما هو اجتماعي وهكذا يركز هومانز اهتماماته حول أشكال السلوك الاجتماعي، التي تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات.

#### ه - الاتجاه التكنولوجي:

ويمثل هذا الاتجاه طرفين : **الأول هو (وليم أجبرن) صاحب نظرية التخلف الثقافي**، حينما تبنى وجهة نظر تركز أساساً على **التكنولوجيا أو الثقافة المادية**، التي تشكل قوى دافعة للتغير الاجتماعي.

ويؤيد التغير في الجوانب المادية يسير بمعدلات أسرع بكثير من تغير الجوانب اللامادية للثقافة، الأمر الذي ينشأ عنه التخلف الثقافي.

والثاني : هو كتاب **كوتزل والطاقة والمجتمع (1955)** ، الذي ذهب فيه إلى أن **التكنولوجيا مسؤولة عن تحديد الطاقة المتاحة لدى الإنسان** ، وهذه الطاقة تحدد ما يستطيع أن يفعله وما يريد أن يحققه في المستقبل.

#### و -الاتجاهات البنائية الاجتماعية (الوظيفية -التبادلية - الصراع):

تتشترك النظريات البنائية في خاصية واحدة وهي تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال الرجوع إلى المراكز الاجتماعية المقررة للمشاركين، وهي تتميز عن **الاتجاه التكنولوجي** من حيث أنها تهتم بالأشياء التي يطورها المشاركون الاجتماعيون خلال علاقاتهم المتبادلة بينما الأخيرة تهتم بالمخترعات المادية وما تحدثه من نتائج في سلوك أعضاء الجماعات المختلفة.

وهناك على الأقل ثلاث جهات نظر بنائية اجتماعية:

- ❖ **الأولى** تمثلها أعمال (روبرت ميرتون و كنجزلى دافيز وغيرهما) وتعرف باسم **البنائية الوظيفية**
- ❖ **والثانية** تمثلها دراسات (ثبوت وكيلي و بلاو) وتعرف باسم **البنائية التبادلية**.
- ❖ أما **الثالثة** فتمثلها أعمال (كوزر ودهرندورف) ويمكن أن نطلق عليها **الاتجاه البنائي في دراسة الصراع**

ونستطيع أن نعرض للأفكار الأساسية التي تتضمنها هذه الاتجاهات على النحو التالي:-

#### -البنائية الوظيفية:

ينسب هذا الاتجاه إلى (روبرت ميرتون و كنجزلى دافيز). ومفاده أنه لتفسير ظاهرة اجتماعية معينة لابد من البحث عن وظيفتها أي النتائج المترتب عليها بالنسبة للنسق الاجتماعي الأكبر الذي تمثل جزءاً منه.

ومحور اهتمام **البنائية الوظيفية** هو تفسير البيانات عن طريق الكشف عن نتائجها بالنسبة للبناءات الكبرى التي تضمنها. أي تأويل الظواهر في ضوء الصلات المتبادلة بينها من جهة وبين المجتمعات الكلية من جهة أخرى. أي التأكيد على علاقة الاعتماد بين الكل وأجزائه وبالعكس.

### -البنائية التبادلية:

بينما تميل البنائية الوظيفية إلى التركيز على جانب واحد فقط للعلاقة بين متغيرين (أ ، ب) نجد أن مفهوم التبادل يسمح بتحليل كافة أنماط التفاعل المتوقعة بين هذين المتغيرين.

فإن التبادلية تشير إلى ضرورة بحث كلا الجانبين، ويلاحظ **جولدنر** أن مفهوم التبادل على هذا النحو يحقق التكامل بين الأحداث الماضية والأحداث المتوقعة في المستقبل وأنماط السلوك الحالية.

عرض (بلاو) نظرية بنائية تتبنى وجهة نظر سيكولوجية إلى حد ما، حيث أنه ذهب إلى أن العمليات الاجتماعية الأساسية التي تحكم الترابط بين الناس لها جذورها في العمليات السيكولوجية الأولية.

### -النظرية البنائية في الصراع:

هنا ينصب الاهتمام على النزاع المتبادل بين بعض الأنماط السلوكية إذ عبر (كوزر) عن ذلك بقوله: أن الصراع هو دائما نوع من الاحتكاك. كذلك أشار (دهرنورف) في تحليله لخصائص الصراع كميكايزم للتغير الاجتماعي. أما (بلاو) فإنه اعتبر التبادل مؤدياً إلى الصراع طالما أنه ينطوي دائما على تباين في توزيع القوة.

### ز -التفاعلية الرمزية:

اتجاه يحاول أن يصور الاحتمالات الممكنة التي تواجه عملية التفاعل بين الأفراد، وبخاصة فيما يتعلق بتكوين الذات ويمثل هذا الاتجاه (جورج هيربرت ميد وبلومر)، فالتفاعل الإنساني في رأيهما هو عملية تكوين ايجابية لاتجاهات سلوكية على أساس تفسيرات دائمة للأفعال التي يقوم بها الآخرين.

وهم من خلال هذه العملية يقومون:

- ❖ بتعديل أو بتغيير استجاباتهم لأفعال الآخرين
- ❖ أو إعادة تنظيم مقاصدهم و رغباتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم وملاءمة المعايير والقيم التي يعتقدونها لكي يستطيعون التكيف والتوافق مع موقف التفاعل.

### ح -نظريتي الفعل الاجتماعي والملزمات الوظيفية:

تمثل أفكار بارسونز هذا الاتجاه الذي يجمع بين نظريتين:

**النظرية الأولى** فهي تسعى إلى تعريف مقولة "الاجتماعي" في ضوء السلوك الذاتي وتحاول تفسيرها بالرجوع إلى ظواهر نتجت اجتماعيا خلال التفاعل بين خصائص البيئة التي يوجد فيها المشاركون والخصائص المميزة لهؤلاء المشاركين أيضا.

**النظرية الثانية** هي **نظرية الملزمات الوظيفية** التي تعرف مقولة الاجتماعي في ضوء السلوك الذاتي وتسعى إلى تفسيره معتمدة على نفس الإطار السابق وترتكز هذه النظرية أيضا على فكرة بارسونز عن مشكلات النسق الاجتماعي.

فكل نسق اجتماعي يجب أن يقدم حلا لأربعة مشكلات:

تدعيم النمط

القضاء على التوتر

إنجاز الأهداف

التوافق ومواجهة مطلب الكمون الذي يتمثل في تضامن الوحدات من أجل الأداء الوظيفي.

المحاضرة السادسة

تتمة الفصل الثالث

تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع

نماذج تصنيف التراث النظري في علم الاجتماع

- 1) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع إلى اتجاهات.
- 2) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع في ضوء تفسير النظام الاجتماعي.
- 3) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع على ضوء طابع العلم وأهدافه الأساسية.

1) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع إلى اتجاهات :

1- تقدم والتر والاس تصنيفا لتراث النظرية في علم الاجتماع يشتمل على ثمان اتجاهات هي: الاتجاه الأيكولوجي والديموجرافي والمادي والسيكولوجي والتكنولوجي والبنائي والتفاعلي الرمزي والفعل الاجتماعي.

2) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع في ضوء تفسير النظام الاجتماعي.

تستهدف هذه المحاولة تصنيف النظريات السوسيولوجية في ضوء تفسيراتها لفكرة النظام الاجتماعي حيث أنه جوهر الدراسة في علم الاجتماع ويتضمن مصطلح النظام الاجتماعي عدة معان منها:-

الأول: يشير إلى وجود القيود والمحرمات الموضوعية لمقاومة الاعتداء أو وجود الضبط الذي يمارس عند حدوث العنف في الحياة الاجتماعية

بينما يشير المعنى الثاني إلى وجود التعاون المتبادل في الحياة الاجتماعية

ويؤكد المعنى الثالث عامل التنبؤ في الحياة الاجتماعية حيث لا يستطيع الناس أن يسلكوا بطريقة اجتماعية إلا إذا عرفوا ما يتوقعه كل من الآخر.

أ-نظرية القهر

تفسر هذه النظرية وجود النظام الاجتماعي بالرجوع إلى فكرة استخدام القهر بصوره المختلفة الفيزيقية أو الرمزية أو الخلقية.

حيث يعتمد على ممارسة القوة. إذا امتنع الناس عن القيام بما هو متوقع منهم، فسوف يواجهون التهديد باستخدام بعض صور العقاب الفيزيقي أو الحرمان من الملكية أو الموارد أو الحقوق، وتحاول هذه النظرية أن تفسر مختلف جوانب النظام الاجتماعي

فإن الناس يكبحون دوافعهم ويمتثلون للمعايير لأنهم يخافون النتائج التي يمكن أن تترتب على إخلالهم بذلك، وأنهم يقومون بالتزاماتهم ويتوقعون من الآخرين نفس الشيء لأن الإخفاق في ذلك سوف يواجه بالعقاب من جانب السلطة.

وتستطيع هذه النظرية أيضا تفسير مظاهر التفكك والصراع والتغير، ففي جميع المجتمعات يوجد على الأقل نوعان من الصراع فهناك:

أولا صراع بين الناس حول مراكز القوة

ثانيا: صراع بين هؤلاء الذين يمتلكون القوة وبين هؤلاء الذين حرّموا منها

## ب- نظرية المصلحة

هناك صورتان رئيسيتان متعارضتان في نظرية المصلحة:

الأولى تفسر النظام الاجتماعي على أنه نتيجة للتعاقد بين الناس لتحقيق مصالحهم وتقرر هذه الصورة أن الناس لا يستطيعون انجاز أهدافهم بدون التعاقد.

أو على الأقل بدون قابليتهم للاعتماد على الآخرين، وهذا بدوره يتطلب وضع القواعد التي تحدد لكل جانب حقوقه والتزاماته التي تمثل منفعة متبادلة والتي تمنع بعض الأطراف من تحقيق منافعهم على حساب الأطراف الأخرى. وتفسر هذه النظرية ظهور التفكك والتغير في ضوء عدم كفاية القواعد الموجودة فيسود الصراع لفترة معينة نتيجة للحاجة إلى قواعد جديدة.

أما الصورة الثانية في نظرية المصلحة فهي أكثر تعقيداً من الأولى حيث تذهب إلى أن النظام الاجتماعي نتيجة غير مقصودة لتصرفات عدد كبير من الناس طبقاً لمصالحهم بطريقة منفصلة أو مستقلة.

قد يؤدي ذلك في بداية الأمر إلى تصادمات: لكن كل فرد سوف يجد أن مصالحه يمكن أن تحقق بطريقة أفضل، باستبعاد تلك التصادمات ويتدعم التعاون المتبادل مما يترتب عليه إقامة توقعات سلوكية متبادلة وتعديل مستمر لها لتحقيق التوازن.

## ج- نظرية الاتفاق القيمي

تقرر النظرية الثالثة أن النظام يقوم على وجود حد أدنى من الاتفاق حول بعض القيم التي قد تكون أخلاقية أو فنية أو جمالية، بمعنى أنه إذا اتفق الناس على نفس القيم فإنهم يشكلون وحدة مشتركة ضد الآخرين فيوافقون على أهداف مشتركة. هذه النظرية تفسر التفكك والتغير.

## د- نظرية القصور الذاتي

أما النموذج الرابع والأخير من نظريات النظام الاجتماعي فيختلف عن النماذج السابقة في أنه يبحث عن تفسير مظهر واحد أو جانب واحد من النظام الاجتماعي. ونقصد به عامل الاستمرار أو البقاء في الحياة الاجتماعية.

تؤكد هذه النظرية باختصار أنه إذا وجد النظام الاجتماعي توجد معه شروط استمراره ودوامه خلال الزمن. والواقع أن هذه النظرية تؤكد على نقطة مؤداها أن بعض العمليات العلية في الظواهر الاجتماعية غالباً ما تكون دائرية، بحيث يتدعم النظام الاجتماعي بصفة مستمرة خلال مراحل محددة يقاوم فيها التغير الذي يهدد توازنه ويسعى إلى تأكيد شروط بقائه.

## 3) تصنيف تراث النظرية في علم الاجتماع على ضوء طابع العلم وأهدافه الأساسية.

استند فاجنر في تمييزه وتصنيفه لتراث النظرية في علم الاجتماع إلى تصورات أصحابها للطابع العام لعلم الاجتماع ولأهدافه الأساسية كميدان للبحث المنظم، ويحصر التصنيف الذي يقترحه فاجنر نظريات علم الاجتماع في الفئات أو المقولات الرئيسية التالية:

## تصنيف فاجنر لتراث النظرية

النظريات الوضعية: التي يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع على أنه علم طبيعي.

النظريات التفسيرية: التي يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع علماً اجتماعياً يناقش العلوم الطبيعية.

النظريات الاجتماعية والتقويمية أو غير العلمية: التي لا يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع على أنه علم وضعي أو تفسيري



## أولاً- النظريات الوضعية:

تستند النظريات الوضعية على مسلمة مؤداها:

أن علم الاجتماع ينبغي أن يدرس كعلم طبيعي

أن علم الاجتماع علماً وضعياً اجتماعياً سلوكياً، ويمكن أن نميز في هذا الصدد بين خمس فئات أو مقولات فرعية من هذه النظريات الوضعية ، ومنها:-

**أ-الوضعية الجديدة:** والتي نشأت وانتشرت في الثلاثينات والتي تزعم أنها تعمل على أساس من النموذج الفيزيقي، وهي تجمع لدرجة كبيرة بين الأساليب العلمية والتعميم والقياس وتنظر إلى علم الاجتماع على أنه علم تطبيقي ونوع من الهندسة الاجتماعية.

**ب- الأيكولوجيا الاجتماعية المحدثة:** تعتمد على ما يطلق عليه بالاتجاه البيولوجي لدى علماء أيكولوجيا النبات والحيوان، حاول هاولي في عام 1950 أن يعدل هذا الاتجاه عن طريق توسيع نطاقه ليتخطى التخصص الضيق في علم الاجتماع الحضري والإقليمي إلى نطاق النظرية المتسقة التي تتجاوز الحدود التقليدية بهدف تحديد التنظيم الاجتماعي، ذلك المصطلح الذي استعير عن نظرية الأبنية الاجتماعية بما ينطوي عليه من معاني واسعة.

**ج- النزعة الوظيفية البنائية:** وهي تشتمل على عدد من النماذج الفرعية والاتجاهات في علم الاجتماع والأنثروبولوجية، ولقد صيغت هذه النظريات أساساً على شكل النموذج المورفولوجي والفيزيولوجي للكائن العضوي.

وبالرغم من أنها تختلف عن بعضها البعض إلا أنها تدخل في الإطار الثاني للنزعة الوظيفية التي تدرس الوحدات الصغرى ونعني نظرية الجماعة الصغيرة والنظرية الكلية للمجتمع الثقافي ونظرية الأنساق الاجتماعية الريفية ونظرية التنظيم والنزعة الوظيفية الحضرية... الخ.

ولقد صيغ الاتجاه الوظيفي الذي يدرس الوحدات الكبرى باعتباره نظرية تعنى ببناء المجتمع في جملته. وتعد النظريات التي تعالج النسق الاجتماعي باعتباره واحداً من الأنساق الفرعية داخل النسق العام من أكثر النظريات الوظيفية شمولاً.

**د-النزعة السلوكية الاجتماعية:** وتختص بالنظريات غير الذاتية، وغير الإرادية للفعل أو السلوك الاجتماعي وقد تهض هذه النزعة على تصورات واقعية وتعمل على ضوء مفهوم علم النفس للمنبه والاستجابة ، وكذلك تسلم بالنزعة الحتمية السلوكية للمعايير الثقافية.

**هـ- النظرية السيكلوجية البيولوجية للثقافة:** وتمتد جذورها الى علم نفس الغرائز الحديث.

وتلعب هذه النظرية دوراً واضحاً في الأنثروبولوجيا وهي تمثل في معظمها تطبيقاتاً لنظرية التحليل النفسي الفرويدى في دراسة الشخصية والثقافة والموضوعات المرتبطة بها، وهناك صوراً معدلة لها تهدف إلى بناء نظرية عن الثقافة في جملتها.

## ثانياً- النظريات التفسيرية:

والفئة الرئيسية الثانية من نظريات علم الاجتماع هي النظريات التفسيرية وهي تشمل النظريات التي لا يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع علماً طبيعياً، برغم إصرارهم والتزامهم بالقواعد المنهجية العامة للعلم، وهم يدعون أن علم الاجتماع هو ذلك الميدان للبحث الاجتماعي الذي يتميز بأنه فريد من الناحية المنهجية.

وتركز هذه النظريات على الجوانب الذاتية والإرادية للسلوك الاجتماعي. وتجمع مناهجها بين وجهة النظر الخارجية للملاحظ الأنثروبولوجي أو السوسولوجي ووجهة النظر الداخلية للمشاركين في الأحداث والعمليات.

٢٥ وبالإمكان التمييز بين أربعة أشكال مختلفة أساسية للنظريات التفسيرية ، واثنين منها بينهما علاقة ارتباط وثيقة كما يلي:-

أ- **النموذج الأول** قد نطلق عليه اسم **نظرية الفهم الثقافي** ، وتعالج النظريات من هذا النوع روح المجتمع الثقافي وتصدر هذه النظريات عن محاولات التعرف على روح التجمعات الاجتماعية وترجمتها إلى لغة علم الاجتماع بمثل ما تترجم إلى لغة ثقافتنا وأسهم علماء الأنثروبولوجيا في نقل هذا الاتجاه إلى علم الاجتماع في أمريكا واستفاد منه البعض في معالجتهم لموضوع روح المجتمعات المعاصرة أو الأقسام الكبيرة من هذه المجتمعات.

ب- **النموذج الثاني للنظرية التفسيرية** : يطلق عليها اسم **نظريات الفعل والتفاعل**، والتي يمكن تتبعها في كتابات (ماكس فيبر) عن الفعل والفهم الذاتي وبدأت من منطلق علم الاجتماع الذي يدرس **الوحدات الصغرى**، ويتناول موضوعات فعل الأشخاص الذين يربطون أنفسهم بالآخرين ويدخلون في علاقات متبادلة لها مغزى ذاتي معهم. أي دراسة الحالة الفردية حتى يتمكن من بناء نظرية الفعل الذاتي والتفاعل.

ج- **النموذج الثالث للنظريات التفسيرية** وهي **نظرية التفاعل الرمزي** : وترتكز النظريات من هذه الفئة الفرعية على مستوى تحليل الوحدات الصغرى وهي تمثل أحد نماذج علم النفس الاجتماعي الحديث وتكون معتمدة في ذلك على **النزعة السلوكية ل(جورج ميد)** التي تهتم بعمليات التفاعل الرمزي "اللفظي" من المنظور الذاتي الداخلي وتمثل الموضوعات الرئيسية في تحقيق الوعي الاجتماعي في المواقف التفاعلية

٢٦ ويوجه بعض علماء النزعة التفاعلية الرمزية أيضا الانتباه نحو العمليات الإدراكية التي من خلالها يدرك الفرد ويتصور العالم الاجتماعي المحيط به، وهذا التغيير في أسلوب عالم التفاعل الرمزي يعبر عن شكلاً مغايراً رابعاً للنظريات التفسيرية.

د- **والنموذج الرابع** سوف نطلق عليه اسم **مدخل الظواهر الاجتماعية** : ويهتم هذا الاتجاه بالصور الواقعية وعمليات الخبرة الواعية والإدراك. حيث تعد الخبرة الذاتية **محور مدخل الظواهر الاجتماعية** ، فالناس لا يتفاعلون فقط الواحد منهم مع الآخر وإنما كل منهم مهتم بفهم الآخر أيضاً.

ثالثاً - **النظريات الاجتماعية التقويمية:**

٢٧ تشمل هذه الفئة النظريات المناهضة للوضعية وغير العلمية، ولقد صاغ هذه النظريات الكتاب الذين لا يعتبرون علم الاجتماع علماً ولا يعتبرونه يخضع للقواعد العلمية في التطبيق ، ولقد رفضوا مبدأ الموضوعية.

٢٨ عارضوا أيضاً مبدأ التحرر من القيمة ولقد استندوا بدلاً من ذلك إلى مقدماتهم الفلسفية المفترضة ومعتقداتهم الأيديولوجية وأنساق قيمهم وهكذا أصبحت الفروض الفلسفية والتوجهات والأيديولوجيات ومجموعة المثل الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية أصبحت هي الأساس لمثل هذه النظريات.

٢٩ وفي الحقيقة هناك نماذج ثلاثة من هذه النظريات المناهضة للوضعية وغير العلمية والتي تخصص للقيمة جانباً له دلالاته.

- 1- النظرية الفلسفية الاجتماعية
- 2- النظرية الاجتماعية الأيديولوجية
- 3- النزعة النقدية الاجتماعية

٣٠ وتمثل النظرية الفلسفية الاجتماعية النوع الأول من هذه الفئة وتشمل هذه المجموعة الفلسفات الشاملة للمجتمع أو للتاريخ ثم يأتي بعد ذلك النظريات الفلسفية التي أبحرت تحت راية علم اجتماع المعرفة.

وهو أحد الإسهامات الأكثر حداثة في علم الاجتماع- الفلسفية والذي يستعين بالتصورات الهيكلية بالرغم من أنه يرفض المضامين التاريخية للنزعة الهيكلية والنموذج الثاني قد نطلق عليه **النظرية الاجتماعية الأيديولوجية** التي تلزم بأيديولوجية نقدية اجتماعية وأحياناً بالنظرية النقدية في الاتجاه الماركسي، وقد يربطون بين علم الاجتماع وبين الدعوة إلى الممارسة والتي تهدف إلى تغيير مجتمعهم.

والنموذج الثالث لهذه النظريات الاجتماعية التقييمية تصدر عن معتقدات أخلاقية اجتماعية مما تصدر عن توجيهات أيديولوجية فلسفية وتتمثل في النزعة النقدية الاجتماعية التي تركز على النظام الاجتماعي ككل، ويطالب مؤلفو هذا الاتجاه بشيء من التحسين في الظروف الاجتماعية وبنوع من الإصلاحات التدريجية.

**الخاتمة:**

**الخلاصة:**

هذا الإطار في تصنيف نظريات علم الاجتماع يشمل مختلف النظريات المعاصرة، ويساعد على تنظيم التراث النظري لعلم الاجتماع.

لكن من المفيد التأكيد على أن هذا التراث يمثل مجموعة متباينة من النظريات قد تتداخل أحياناً فيما بينها، لذلك لا بد للباحث من التحليل الواعي والأخذ بعين الاعتبار السياق الفكري للمجتمع.

والجدير بالذكر أن تصنيف فاجنر للنظريات إلى:

{ وضعية - - تفسيرية -تقويمية }

تحقق شروط التصنيف الجيد

وعليه سندرس في ضوء تصنيف فاجنر أشهر هذه النظريات.

## المحاضرة السابعة

### الوظيفية البنائية – الوضوح والأزمة

#### تمهيد:

يعتبر علم الاجتماع في جملته محاولة لفهم الطبيعة النظامية والنمطية للواقع الاجتماعي تلك التي يمكن التنبؤ بها .

غير أن أفكار النظام وإمكانية التنبؤ التي تتردد بين علماء الاجتماع عموماً تختلف حول القول بثبات العلاقات

الاجتماعية وأن الأحداث الاجتماعية تحدد سلفاً بالضرورة .

هذا لأن مفهوم النظام يقوم على حقائق نستنبطها من الملاحظات مثل التي تقول أن توقعاتنا لسلوكنا الخاص وتوقعاتنا لنشاط الآخرين يمكن أن تنمو أو تظهر وتتشكل من خلال الخبرات التي نكتسبها، وليس معنى ذلك القول بأننا نعرف بالضبط ما قد يفعله الآخرون في أي وقت، وإنما لدينا فكرة لا بأس بها عن الأفعال المحتملة.

وبعد التركيز على الأساليب التي يتم من خلالها تنظيم الحياة الاجتماعية محوراً للاهتمام المشترك بين كل منظورات علم الاجتماع ، تظهر الاختلافات بين هذه المنظورات حسب صياغتها التصورية لطبيعة عملية ظهور وإدارة هذا النظام

الاجتماعي، ويميل كل منظور إلى التركيز على جوانب مختلفة أو الاهتمام بتلك الجوانب من الحياة الاجتماعية التي يعتقد أنها تسهم أكثر من غيرها في تحقيق هذا النظام الاجتماعي.

وباستطاعتنا من ناحية أخرى أن نتعرف في إطار علم الاجتماع على مدخل أوسع يقوم على افتراض مؤداه: أن أفعالنا الاجتماعية وما تشكله من بناء يتأثر إلى حد كبير بالبيئة الاجتماعية من حولنا .

وهنا يمكن النظر إلى ما يسود بيننا من قيم واتجاهات وما يترتب عليها من نشاطات وعلاقات على أنها نتيجة أو على الأقل تتأثر إلى حد كبير بتنظيم وبناء المجتمع الذي نعيش فيه، ولقد مهد هذا الافتراض لظهور المدخل الأوسع الذي يطلق عليه البعض البنائية .

وعلماء الاجتماع الذين استطاعوا تطوير منظور في علم الاجتماع يطلق عليه البعض اسم منظور الإجماع أو الاتفاق يركزون صراحة على مسألة النظام على مستوى المجتمع، بمعنى أنهم يميلون إلى التركيز على النظام في المجتمعات بأكملها.

وتقوم تحليلاتهم النظرية والواقعية على افتراض مؤداه: أنه يمكن النظر إلى المجتمعات باعتبارها كيانات متكاملة وثابتة ومتماثلة ومستمرة وأنه إذا كان هناك اختلاف بينهما فإن هذا الاختلاف يرجع إلى الاختلاف في الترتيبات البنائية والاجتماعية والثقافية لهذه المجتمعات.

ولقد ترتب على هذا الافتراض أن ظهر إطار تصوري وأسلوب في التحليل عرف خلال السنوات الأخيرة تحت اسم الاتجاه الوظيفي، والتفرقة بين الاتجاه الوظيفي المهم بالوحدات الكبرى والاتجاه الوظيفي المهم بالوحدات الصغرى.

ويسمح لنا الأخذ بعنوان البنائية الوظيفية أولاً تسمية الأشياء بمسمياتها وثانياً الانطلاق في معالجة هذا الاتجاه النظري من فكر بارسونز الذي كان يميل إلى هذه التسمية ، والذي أسهم في وضوح وبلورة هذا الاتجاه الذي يضرب بجذوره في كتابات رواد علم الاجتماع من أمثال كونت وسبنسر وباريتو ودوركايم وغيرهم من علماء الأنثروبولوجيا وبخاصة مالفينوسكي وراي كليف براون .

وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه أخذ يوجه البحث في علم الاجتماع منذ بداية الأربعينات إلا أن الظروف التي استحدثت على صعيد علم الاجتماع والمجتمعات الغربية وذلك في بداية الستينيات قد أدخلت هذا الاتجاه النظري في أزمة ، وقد ظهرت لها ردود فعل متباينة أفضت في النهاية إلى نماذج نظرية حديثة.

## أولاً: فكر الرواد والمقدمات المنطقية للبنائية الوظيفية.

ظهرت فكرة تكامل الأجزاء في الكل وتساند عناصر المجتمع المختلفة في فكرة الاتساق العام عند (كونت)، وفي فكرة التكامل الناتج عن التباين عند (سبنسر) وفي الاتجاه العضوي عند (كولبي) وفي تصور (باريتو) للمجتمع باعتباره نسقاً متوازناً، أما تأكيد فكرة الدور أو الاسهام الذي تقدمه البناءات الاجتماعية للكل فيعود في الواقع إلى كل من (دوركايم وتوماس).

ونحاول فيما يلي توضيح إسهام هؤلاء الرواد في مجموعة المسلمات هذه:-

### 1-المجتمع ذو طابع نسقي:

قسم (أوجست كونت) موضوع الدراسة في علم الاجتماع إلى فرعين رئيسيين هما: الاستاتيكا

والديناميكا، وكان يعني بالاستاتيكا دراسة المجتمعات في جملتها، ويهدف إلى وصف الكيفية التي تعمل بها وتؤدي وظيفتها كأنساق متشابهة تتكون من أجزاء مختلفة.

وتهدف الديناميكا إلى الكشف عن القوانين التي تفسر الكيفية التي يمكن بها أن تتغير هذه المجتمعات عبر الزمن، وتبدو فكرة الطابع النسقي للمجتمع واضحة في النظر إلى المجتمعات كأنساق متشابهة تتكون من أجزاء مختلفة.

وكان ل (هربرت سبنسر) وجهات نظر مماثلة إلى حد ما في مقدمتها قوله أن المجتمع يماثل الكائن العضوي بمعنى أنه يمكن النظر إلى المجتمع كما لو كان كائناً حياً، وأن المجتمعات تسير في عملية تطور تماثل ذلك النوع من التطور البيولوجي الذي يميز الكائنات الحية والذي أشار إليه داروين.

ويتضح تأكيد (سبنسر) للطابع النسقي للمجتمع من اعتباره المجتمع كل يتكون من أجزاء مختلفة تتمثل في مجموعة الترتيبات الاجتماعية والضرورية، والتي تأخذ شكل النظم بمعنى مجموعة الأنساق المنظمة التي تحقق التنظيم الاجتماعي وكان دوركايم قد وافق (كونتوسبنسر) على أن المجتمعات تمثل أنساقاً تتكون من عناصر اجتماعية متشابهة.

### 2- المجتمع نسق طبيعي:

وقدم دوركايم في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" وصفاً مبدئياً للمناهج التي يمكن استخدامها في دراسة المجتمع غير أنه أمضى بعض الوقت في وصف طبيعة الظواهر التي يمكن دراستها. ويتمثل موضوع الدراسة في نظر علماء الاجتماع أو الظواهر التي يمكن لهم أن يقوموا بدراستها بالطريقة العلمية ، يتمثل ذلك الموضوع فيما يعرف باسم الحقائق

الاجتماعية ، وهذه الحقائق الاجتماعية تختلف عن غيرها من أنواع الحقائق الأخرى ، لأنها تمثل النسيج الحقيقي للمجتمع والتي تنشأ من العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية فهو مثلاً ينظر إلى معدل الانتحار في المجتمع على أنه نظام متميز يتسم به الواقع ، ولا يمكن أن نفهم من معدل الانتحار في نسبة ألف من السكان أنه يمثل مجموعة حالات فردية بدون أن يتطرق إلى المعنى الحقيقي لهذا المعدل.

فالمعدل الألفي يعتبر بمثابة ظاهرة جمعية أو بمعنى آخر ما هو إلا حقيقة اجتماعية ، ولقد أدرك دوركايم ارتباط مباشر بين الطبيعة الاجتماعية للمعدل وبين إحصائيات الانتماء في جماعات مختلفة ، وبالرغم من أن المعدلات قد تختلف من جماعة إلى أخرى ، إلا أن بعض الجماعات ترتفع فيها المعدلات بينما تنخفض في أخرى.

وأن كل جماعة منها يبدو أن لها معدل مماثل من عام إلى آخر، وأدت هذه الملاحظة بدوركايم إلى أن يقرر بأن معدلات الانتحار تنشأ من الظروف الاجتماعية للمجتمع، ومن هنا فهي تعد بمثابة حقائق اجتماعية.

وهذه الظواهر التي تتسم بالوجود المنفصل تمارس ضغطاً على الأفراد ومن ثم يكون لها تأثيراً إلزامياً عليهم، ونحن لا يمكن لنا أن نشعر بهذا الإلزام مثلاً أو حتى بالذنب عندما نخرج على هذه التقاليع ولا نأخذ بها.

ويقترح دوركايم أيضاً أنه برغم أن بعض الحقائق الاجتماعية قد تكون عامة في المجتمع إلا أنها قد لا تتفق في الواقع مع ظروف هذا المجتمع، وبالإمكان مثلاً بالنسبة للظواهر الاجتماعية أن تكون بالية لأنها تنتمي إلى الشكل الماضي للمجتمع.

ولذلك نجد دوركايم يعدل الشرط المتعلق بالعمومية بشرط آخر مؤداه أن الحقائق الاجتماعية ينبغي أن ترتبط بالشروط العامة للحياة الجمعية لذلك النوع من المجتمع، وعند هذه المرحلة المحددة من التطور أو تغير ذلك النوع من المجتمع.

واستطرد دوركايم في تحليله للحقائق الاجتماعية بأن ذهب إلى أنه ثمة نسق معين ضروري لهذه المجتمعات التي قام بتصنيفها لكي نحدد ما إذا كانت الحقائق الاجتماعية طبيعية أو معتلة، ويذهب دوركايم متفقاً مع سبنسر إلى أن هذه المجتمعات يمكن وضعها في فئات طبقاً لدرجة تعقيدها أو تنظيمها. فعلى الطرف الأول من هذا المقياس يوجد هناك الشكل البسيط أو البدو الرحل، وعندما تنتقل عبر هذا المقياس نجد هناك مع زيادة التعقيد العشيرة ثم القبيلة، وأخيراً المدينة. ويمكن أن ندخل في كل تصنيف ما يساعد على التمييز بين المجتمعات طبقاً لدرجة التضامن وهذا معناه تصنيفها طبقاً للمدى الذي تختلط فيه أجزاؤها المكونة معاً لتكوين نمط متكامل من مجموعة نظم.

وتعتبر عملية تصنيف المجتمعات بمثابة مطلب ضروري أيضاً كشرط سابق لاستخدام المنهج المقارن، ذلك المنهج الذي

نظر إليه دوركايم على أنه الإجراء الأكثر نفعاً في التوصل إلى البراهين السوسولوجية ولذلك عنى كثيراً بضرورة أن تكون نظريات علم الاجتماع من النوع الذي يمكن اختباره ولما كانت عملية التجريب بالتطبيق على المجتمعات في جملتها أمراً مستحيلًا كان من الضروري استخدام المنهج المقارن باعتباره منهجاً شبيهاً بالتجربة، ذلك المنهج الذي يعد بمثابة تجربة غير مباشرة، وعلى عالم الاجتماع في إجرائه لبحثه أن يقارن نتائجها التي تتعلق بالمجتمع ما بتلك النتائج المتعلقة بمجتمعات أخرى من نفس النموذج ومن نماذج مختلفة.

وأشار دوركايم في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" إلى أنه عند تفسير الحقائق الاجتماعية ينبغي على الباحثين: أن يتوصلوا إلى أسباب الحقائق الاجتماعية.

أن يكشفوا عن وظائف الحقائق الاجتماعية.

وأكد دوركايم عند تفسير الحقائق الاجتماعية ضرورة التوصل إلى أسباب الحقائق الاجتماعية، والكشف عن وظائف هذه الحقائق بمعنى الدور الذي تلعبه في المساعدة على الحفاظ على المجتمع في حالة منظمة.

### 3- المجتمع نسق أخلاقي: ذهب دوركايم إلى أن كل العلاقات والروابط الاجتماعية

تعمل على ظهور توقعات حول أنماط السلوك، وعندما يرتبط الأشخاص فيما بينهم بمعنى إقامة العلاقات مع الآخرين، فإنهم يميلون إلى تطوير طرق مشتركة في الإدراك والتقييم والمشاعر والعمل.

وهذه الأنماط الجديدة للقيم والإدراك والفعل تعمل على ظهور توقعات وضوابط تتعلق بالكيفية التي يجب أن يتصرف بها الأشخاص في مواقف معينة، وهكذا عندما يرتبط الأشخاص ببعضهم الآخر فإنه يظهر هناك وعي اجتماعي يعمل بدوره على إلزامهم واضطرارهم على السلوك والتصرف بطرق معينة. وقرر دوركايم أنه لكي يقدم الناس معا على إبرام عقد عليهم أن يصلوا إلى شيء من الاتفاق المشترك على القيم الخاصة بهذا العقد وبعض الاتفاق المشترك على الارتباط والتمسك بالقواعد غير المدونة لهذا الموقف الذي يخص التعاقد، وهذا الاتفاق السابق يمثل في نظردوركايم إطاراً للنظام الذي يعد جوهر أو أساسالمجتمع.

و إذا أمكن للناس إبرام عقد مع بعضهم الآخر فذلك لأنهم أعضاء فعلاً في مجتمع وينتمون بقيم معينة شائعة بينهم، وهكذا يصبح الإجماع الأساسي أو الاتفاق على قيم أساسية مرادفاً لفهم أو إدراك تصور المجتمع.

ويبدو تأكيد دوركايم على الطبيعة الأخلاقية للعلاقات الاجتماعية واضحاً في كل أعماله، ففي كتابه مثلاً عن تقسيم العمل في المجتمع الذي وضع عنواناً فرعياً (دراسة تنظيم المجتمعات المتقدمة) ادعى أن تقسيم العمل ذاته يعد بمثابة ظاهرة أخلاقية أكثر منها ظاهرة اقتصادية. فهو يركز في هذه الدراسة على المشكلات السياسية والقانونية والأخلاقية للمجتمعات وذلك في تغييرها من الأنساق البسيطة الزراعية التقليدية إلى المجتمعات الصناعية الحديثة، وذهب إلى أن كلاً من هذين النموذجين للمجتمع يتسم بأن له أشكالاً مغايرة من التضامن الاجتماعي ولها أنساق اجتماعية للأخلاق متباينة.

وباختصار يرتبط الناس فيما بينهم بقيم مشتركة تقوم على الخبرات المشتركة والشائعة بينهم، ولا تزال القيم المشتركة والشائعة مستمرة، لأنه بدونها لا يكون للمجتمع وجود. غير أنها تصبح عامة طالما أنها فقدت جذورها في مجال الخبرات اليومية المشتركة وبدلاً من تعيين وتحديد تفاصيل الفعل تميل القيم المشتركة إلى أن تكون دعائم أكثر عمومية للممارسات الاجتماعية الفعلية، وبهذا يمكن النظر إلى تقسيم العمل باعتباره ظاهرة أخلاقية.

#### 4- المجتمع نسق متوازن:

والملاحظ أن دوركاييم كان يستخدم على نحو ضمني شأنه في ذلك شأن كونت وسبنسر من قبل نموذج التوازن للمجتمع.

حيث ينظر إلى المجتمع على أنه نسق منظم وثابت تتغير فيه الخبرات ويعمل التوافق والتكيف مع الموقف المتغير بطريقة ما على إعادة تشكيل نظام جديد وحالة جديدة للتوازن.

ويعتبر مفهوم التوازن مفهوماً هاماً في مدخل الإجتماع ، وعموماً يفترض أن تكون المجتمعات ثابتة ومنظمة إلى أن يقع حدث أو تغير آخر ، وعندما يحدث هذا من المفترض أن يحدث للمجتمع تغيرات أخرى كجانب من عملية التكيف مع الموقف الجديد لكي يعيد بناء حالة التوازن .

ويترتب على استخدام هذا المفهوم -بطبيعة الحال - ميلاً إلى نشوء المجتمع بمعنى إعطائه خصائص الشيء الفعلي والافتراض أن لهذا المجتمع حياته وجوده الخاص به، وتكمن جذور هذا الافتراض في القول بأن المجتمع يشبه الكائن العضوي.

وبالرغم من أن سبنسر نفسه - كما أوضحنا - يعتقد بأن المجتمع يعد بمثابة كائن عضوي لأنه عالج فقط المجتمع كما لو كان كائناً عضوياً، إلا أنه كان هناك غيره من فعل ذلك.

وبالرجوع إلى تفسيره الوظيفي للصور الأولية للحياة الدينية نجد دوركاييم يذهب إلى أن النشاط الديني يوجد في المجتمع لأن له وظيفة ايجابية، فهو يساعد على الحفاظ على الوحدة الأخلاقية للمجتمع.

وقام دوركاييم بتحليل النشاط الديني في القبائل البدائية على افتراض أن لكل المجتمعات خصائص أساسية مشتركة، وأن فهم الدين في هذا المجتمع البسيط قد يؤدي إلى فهم الخصائص الجوهرية للدين في أي مجتمع فقام دوركاييم بدراسة القبائل البدائية في استراليا واستنتج أن وظيفة الطقوس الدينية هي دعم التضامن بين أعضاء المجتمع، إذ تساعد أوجه النشاط الطقوسية

هذه على أن توضح لهم أنه برغم معيشتهم المنفصلة والمبعثرة في عشائر متباينة.

فهم جميعاً جزء في نفس المجتمع ولهم نفس القواعد الأخلاقية والتوقعات والالتزامات الأساسية التي تمارس عليهم نوعاً من الضغوط وال ضبط وبداخل القبائل تعتبر العشيرة هي الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية. ولكل عشيرة (توتم)، والتوتم عادة يأخذ اسم حيوان مثل السلحفاة ويشبه شعار النبالة أو أي شعار آخر، بمعنى الرمز الذي يعد مقدساً وينطوي على معاني خاصة بالنسبة لأولئك الذين يتخذون منه توتماً لهم، ويعتبر التوتم بمثابة وسيلة ملموسة للتعبير عن مشاعر الناس على أن المجتمع والذي يعتبرون أنفسهم أعضاء فيه مجتمع أكبر وأفضل من كل فرد فيه.

وهو يعمل على هذه الروابط من قيم وأهمية وتدعم هذه المشاعر بمعرفة القبيلة ككل، وذلك على فترات زمنية يتم فيها التجمع على موارد الطعام والرقص والطقوس الدينية ويتمتع كل فرد بمشاعر المرح وتسمى انفعالاته. الأمر الذي لا يمكن له أن يتحصل عليه إلا في ظل هذا المجتمع فقط، وتتأثر مشاعر الفرد بالقوة الخارجية ذات القيمة ويشعر معها بالتضامن مع أقرانه وهكذا، فإن الشعار التوتمي يذكره بالقوة العليا للمجتمع.

ويقارن دوركاييم في تحليله وتفسيره الوظيفي بين توتم العشيرة وبين العلم لدى الدولة، إذ يعتمد التضامن القومي على مشاعر حب الوطن في أذهان الأعضاء الأفراد في هذه الأمة، وللحفاظ على التضامن القومي ومشاعر حب الوطن يحتاج الأمر إلى بعض التعبير الجماعي من وقت إلى آخر. وتساعد كل الطقوس المتعلقة بالإعلام والملك وقادة الدولة... الخ، على تحقيق هذه الوظيفة وهذه الطقوس تمكن أفراد الأمة من تركيز مشاعرهم على الكيان الجمعي الذي يعتبرون أنفسهم جزءاً منه، وهذا يساعد بدوره على الحفاظ على وجودهم من خلال دعمهم للتضامن الاجتماعي.

#### ثانياً: الإطار التصوري للبنائية الوظيفية

نعني بذلك مجموعة المفاهيم التي يتردد استخدامها في إطار البنائية الوظيفية ، وعلى الرغم من أن مفهوم البناء والوظيفة باعتبارهما مفهومين رئيسيين في هذا الإطار قد دخلا على يد كونت وسبنسر ...

إلا أن البنائية الوظيفية شهدت نمو إطار تصوري يضم مفهومات مثل: النسق والنظام والدور والقيم والمعايير وغيرها من المفاهيم التي ترتبط بمفهوم البناء من ناحية.

ومن ناحية أخرى شهدت ظهور مفهومات مثل

الوظيفة الظاهرة والوظيفة الكامنة والبدائل الوظيفية والمعوقات الوظيفية والوظيفة الميسرة وغيرها.

### 1- مفهوم البناء الاجتماعي والمفاهيم ذات الصلة:

يذكر روبرت ريدفيلد أن من استخدموا مفهوم البناء الاجتماعي لم يستخدموه بمعنى واحد، ويبدو أنهم يستخدمون عدة أفكار أو تصورات مختلفة بشأنه مثل

#### أ- النسق الاجتماعي social system :

ويعني النسق بأبسط معانيه العلانية أو الارتباط أو التساند وحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض فإنه يمكن القول أنها تؤلف نسقاً .

ذلك الذي يتسم بخصائص معينة ويستطيع مفهوم النسق الوفاء بكثير من متطلبات التحليل الوظيفي ، ولعل أهمها أنه يمكننا على مستوى التجريد من التعرف على النشاطات المختلفة والخصائص المتميزة للمجتمع ككل، فالمجتمع ذاته يوصف بأنه نسق اجتماعي متفاعل.

#### ب- النظام الاجتماعي Social institution :

استخدم مالبينوفسكي مصطلح النظام للإشارة إلى الجماعة الاجتماعية وهو يدافع عن ما يسميه عزل النظم عن بعضها البعض، وكل نظام يؤدي في الواقع وظيفة اجتماعية على الأقل.

أو بعبارة أخرى يشعب حاجة اجتماعية مستترة ، وإذن من الممكن تقسيم النشاط الثقافي العام للمجتمع إلى وحدات تنظيمية متميزة، بحيث يطلق على كل وحدة من هذه الوحدات مصطلح النظام.

وهذه النظم هي العناصر الثقافية المنعزلة التي تخضع للبحث والدراسة العلمية ، فدراسة النظم تشتمل على الثقافة بوصفها الجهاز الذي يواجه إشباع الحاجات والملزمات الوظيفية المتعددة.

وكان رادكليف براون يرى أن ما اصطلح على تسميته بالنظم الاجتماعية ما هي إلا صور منتظمة للعلاقات المتبادلة مثل الأسرة والدين والحكومة والقانون وهي تمثل وحدات التحليل السوسولوجي ويستطرد براون في تعريف النظم في ضوء المعايير الاجتماعية والقيم.

#### ج- الدور الاجتماعي Social role :

يعد مفهوم الدور مفهومًا محوريًا سواء لفهم النتائج أو الآثار أو لفهم مكونات البناء الاجتماعي ، فالدور هو الوظيفة بمعنى أنه السلوك الذي يؤديه الجزء من أجل بقاء الكل.

وتشكل أنماط العلاقات الاجتماعية بين الأدوار الشخصية جوهر البناء الاجتماعي وبالمثل تشكل أنماط العلاقات بين النظم الاجتماعية المفهوم الأشمل لبناء المجتمع ككل.

#### د- نسق القيم Value system :

ويشير إلى القيم التي يتبناها المشاركون في النسق الاجتماعي كموجهات سلوكهم، وهذه القيم هي المسؤولة عن التوازن والوحدة ، كما أنها تحقق التماسك وتمنح الفعل الاجتماعي شكلاً وتعطيه معنى.

### 2- مفهوم الوظيفة الاجتماعية والمفاهيم ذات الصلة :

يذهب رادكليف براون إلى أن وظيفة النظام هي الدور أو الإسهام الذي يقدمه الجزء من أجل النسق الاجتماعي ككل.



وكان ميرتون قد أضاف تعريفاً شهيراً للوظيفة حيث قال:

أنها تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها والتنبؤي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين. وطور ميرتون بعد ذلك مجموعة من التصورات بدأها بالتفرقة بين الوظائف الظاهرة والكامنة، ودعمها بمفهوم البدائل الوظيفية واختتم إسهامه بمفهوم المعوقات الوظيفية كأداة لفهم التغيير الاجتماعي.

#### أ-الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة Manifest & Latent:

قدم ميرتون تفرقة واضحة وتمييزاً قاطعاً بين الوظائف الظاهرة والكامنة وهو تمييز أشار إليه ضمناً بعض الدارسين الآخرين.

فالوظائف الظاهرة تشير إلى النتائج الموضوعية التي تحدثها سمة اجتماعية أو ثقافية معينة، تلك النتائج التي تفرض على الأفراد تبعيتها أو التكيف معها، فهي إذن نتائج يتوقع الأفراد حدوثها، أما الوظائف الكامنة فتشير إلى النتائج غير المقصودة وغير المقررة.

ولتوضيح ذلك نقدم فيما يلي المثال الذي استعان به ميرتون نفسه : فالوظيفة الظاهرة للاستهلاك الاقتصادي هي الانتفاع بينما يعد تحقيق الهوية وتأكيد المكانة العليا- على حد تعبير فيبلن- أحد الوظائف الكامنة لهذا الاستهلاك.

#### ب- البدائل الوظيفية Functional

وعندما حاول ميرتون مناقشة موضوع الجهاز السياسي كشف بجلاء عن أهمية مفهوم البدائل الوظيفية ، وتكمن أهمية هذا المفهوم في التحليل حينما نتخلي عن التسليم بفكرة الوظيفية .

حيث أن فكرة الوظيفية بنطوي عليها بناء اجتماعي معين، ومعنى ذلك أنه يتعين علينا ألا نسلم مثلاً بأن الجهاز السياسي يمثل الوسيلة الوحيدة لمواجهة حاجات معينة مثل رجال الأعمال والطموحين من أفراد المستويات الاجتماعية الدنيا.

إذن فمفهوم البدائل الوظيفية يركز الاهتمام على مدى التنوع الممكن في الوسائل التي تستطيع أن تحقق مطلباً وظيفياً، وبذلك فهو يذيب ذاتياً ما هو موجود بالفعل وما هو محتتم أيضاً .

#### ج- المعوقات الوظيفية Dysfunctions:

وفي هذا الصدد يستخدم ميرتون مفهوم المعوقات الوظيفية والذي يشير إلى النتائج التي يمكن ملاحظتها والتي تحد من تكيف النسق أو توافقه.

فالتفرقة العنصرية مثلاً قد تكون معوقاً وظيفياً في مجتمع يرفع شعار الحرية والمساواة ويوضح ميرتون أهمية هذا المفهوم حيث يقول: أن مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط وتوتر على المستوى البنائي يمثل أداة تحليلية هامة لفهم ودراسة الديناميات والتغيير.

البحث في المكتبة الرقمية عن بحث محكم في دورية علمية :

- 1- موقع جامعة الدمام
- 2- المكتبة
- 3- بوابة المكتبة الالكترونية
- 4- قواعد عربية
- 5- قواعد المعلومات العربية
- 6- قائمة أجدية جميع قواعد البيانات العربية
- 7- اختيار قواعد البيانات
- 8- العلوم الاجتماعية

## المحاضرة الثامنة

### استكمال البنائية الوظيفية – الوضوح والأزمة (جزء 2)

#### ثالثاً: بارسونز ووضوح البناء الفرضي للبنائية الوظيفية

أن تالكوت بارسونز قد أضاف إسهامات رئيسة إلى تطور منظور الإجماع من خلال بلورته المفضلة لإطاره التصوري الأساسي ومحاولته تنسيق الأفكار الأساسية والفروض التي قدمها العلماء الآخرون والمناصرون لمنظور الإجماع في إطار نظري متماسك.

#### 1- المجتمع نسق اجتماعي معياري:

أشار بارسونز إلى أنه بالإمكان تحليل المجتمعات باعتبارها أنساقاً اجتماعية وأنه إذا كان على أي نسق اجتماعي أن يستمر عليه أن يعمل على تحقيق أربعة شروط أساسية.

أو بعبارة أخرى عليه أن يتغلب على أربع مشاكل أساسية، ولقد أطلق على هذه المشكلات أو الشروط اسم الملزمات الوظيفية أو المتطلبات الوظيفية وهذه الملزمات لا تهم التنظيم الاجتماعي فقط، وإنما تتعلق بالحاجات الشخصية لأعضاء المجتمع أيضاً وهذه المشكلات الأربع هي:-

#### أ- التكيف مع البيئة: Adaption to the environment

على كل مجتمع أن يحقق الحاجات الطبيعية لأعضائه إذا كان عليه أن يستمر ولكي يحقق ذلك عليه أن يضع الترتيبات اللازمة مع بيئته الطبيعية.

ويعتبر الغذاء والمأوى بمثابة حد أدنى من هذه المتطلبات وعادة ما يشتمل مجالها على الأنساق الفرعية الخاصة بالإنتاج والتوزيع.

#### ب- إنجاز الهدف: Goal Attainment

ينبغي على أي مجتمع أن يتوصل إلى بعض الاتفاق المشترك بين أعضائه حول أهدافهم وأولوياتهم وهكذا عليهم أن يوفر الترتيبات الضرورية للتعرف على واختيار تحديد هذه الأهداف الجمعية وتوفير الترتيبات البنائية الضرورية لبلوغ هذه الأهداف.

#### ج- المحافظة على النمط وإدارة التوتر: Pattern Maintenance & Tension Management

على كل مجتمع أن يتأكد من أن أعضائه متحفزين ما فيه الكفاية لأداء الأدوار الضرورية المطلوبة ولتحقيق الالتزام الضروري بالقيم في هذا المجتمع.

وعليهم أيضاً أن يكونوا قادرين على إدارة التوترات الانفعالية التي يمكن أن تظهر بين الأعضاء خلال التفاعلات الاجتماعية اليومية.

د- التكامل: Integration ولكي يحافظ أي مجتمع على وجوده عليه أن يضمن قادراً من التعاون والضبط بين العناصر الداخلية للأجزاء المختلفة من النسق الاجتماعي.

وتتعامل المشكلتان الأولى والثانية وهما التكيف مع البيئة وإنجاز الأهداف الجمعية مع ظروف ومتطلبات تتحقق من خارج النسق، وعلى هذا يمكن النظر إليها على أنها ذاتية إلى حد كبير بمعنى أنه تتطلب أداء مهام مثل تعبئة الوسائل من أجل بلوغ الأهداف ذات القيمة.

وتترتب مشكلات المحافظة على النمط والتحكم في التوتر والعمل على التكامل بين أفعال الأعضاء وتترتب على الحقيقة التي مؤداها: أنه يوجد هناك دائماً أكثر من شخص واحد في النسق الاجتماعي.

وبعبارة أخرى من المعترف به أن التفاعل الاجتماعي ذاته يثير مشكلات من داخل المجتمع، وهاتان المشكلتان ينظر إليهما على أنهما يتعلقان بالجوانب التعبيرية إلى حد كبير بمعنى المحافظة على القيم الاجتماعية وضبط التغيرات الانفعالية.

وعلى أي مجتمع لكي يحل هذه المشكلات ويحافظ بالتالي على وجوده أن يوفر أربع سمات رئيسية ، وهذه السمات البنائية في نظر بارسونز تتمثل في الأنساق الفرعية الرئيسية المتعلقة بالاقتصاد والسياسة والقرابة والتنظيمات الثقافية والمحلية.

وتؤدي النظم القرابية ووظائف المحافظة على الأنماط المتوقعة للتفاعل الاجتماعي وتساعد على ضبط التوترات الشخصية المتبادلة إلى حد كبير من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والواقع أن عملية التنشئة الاجتماعية هي التي تشكل شخصيات من يلعبون الأدوار بالدفاعية الكافية والالتزام بقيم المجتمع.

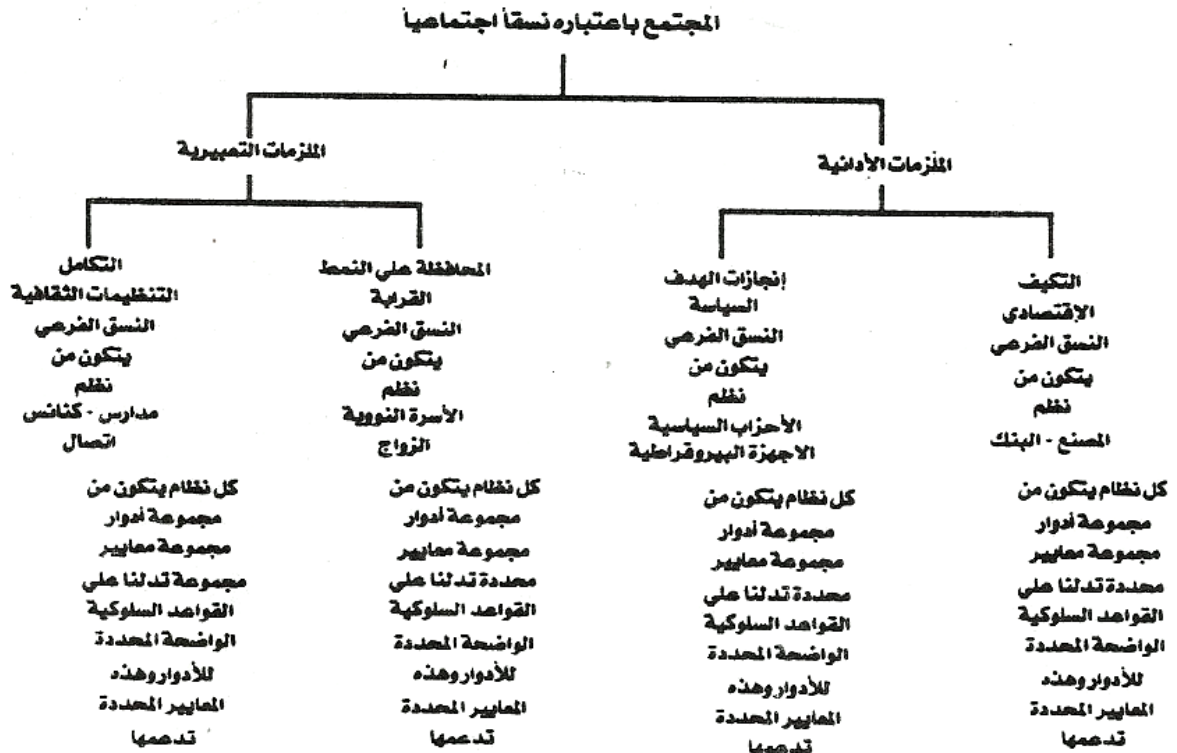
أما النظم الثقافية والمحلية مثل الدين المنظم والتعليم ووسائل الاتصال فهي تقوم بوظيفة العمل على التكامل بين العناصر المتباينة في النسق الاجتماعي وهذه النظم بإمكانها أن تشكل القيم الاجتماعية وتعمل على تدعيمها في الوقت نفسه.

وقد تكون هذه النظم في حاجة إلى مساعدة تتلقاها من الهيئات الرسمية الخاصة بالضبط الاجتماعي مثل قوى البوليس والجيش، أو من نظم قانونية خاصة بالمحاكم والتشريع خاصة إذا اتضح عدم كفاية هذه النظم الثقافية.

وتتأثر الشكل الخاص الذي تأخذه هذه الأنساق البنائية الفرعية أو النظم في أي مجتمع بنسق القيم الخاص بهذا المجتمع ، وكان بارسونز متأثر كثيرا بأعمال دوركايم لأن كلاهما كان يعتبر المجتمع في أساسه بمثابة كيان أخلاقي.

وعندما يشير بارسونز إلى بناء المجتمع بمعنى البناء الاجتماعي فإنه يشير إلى البناء المعياري بمعنى أنه يشير إلى بناء التوقعات الذي يتجسد في عملية لعب الأدوار وكل الأنساق النظامية الفرعية مثل القرابة والاقتصاد والسياسة المشار إليها سلفا تتكون من أدوار.

ويمكن أن يوضح الشكل التالي بالرسم الإطار التصوري للمجتمع أو النسق الاجتماعي عند بارسونز كما يلي:-



## القيم الأساسية

إبارسونز يوافق دوركايم في اعتباره أن نسق القيم في المجتمع بمثابة أحد خصائصه الجوهرية ، وفي نظر كلا العالمين يعتبر الاتفاق المشترك على قيم أساسية معينة سمة متكاملة أو تكوينية لأي مجتمع.

إويعتبر الإجماع في نظرهما أيضا على القيم الأساسية بين أعضاء المجتمع بمثابة عنصر في تحديد المجتمع وبدون مثل هذا الاتفاق لا يكون هناك مجتمع.

## 2- يتوقف توازن النسق الاجتماعي على ميكانزمات التنشئة الاجتماعية والضبط:

إتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي بمثابة عمليات أساسية تسهم في بلوغ هذه الحالة النظرية للتوازن.

إذ يتعلم من يقومون بلعب الأدوار بمعنى أنه يتم تنشئتهم على التوقعات المرتبطة بالدور وهي عملية تدعمها الجزاءات الايجابية ( الثواب ) والسلبية (العقاب) لكل من يؤدي الدور والذين يعملون على تحقيق هذه التوقعات أو لا يحققونها.

وتتمثل المشكلة الرئيسية في مراقبة من يلعبون الأدوار وهم يعملون على تحقيق هذه التوقعات، ففي المجتمعات تامة التكامل تسخر المستويات الأعمق من الدوافع لإنجاز توقعات الدور ، وهكذا فهناك علاقة ضرورة بين شخصية الفرد والبناء الاجتماعي لمجتمعه عندما يكون في حالة توازن.

وبهذه الصياغة التصورية لعملية التنشئة الاجتماعية توافر لدى بارسونز أيضا إطارا نظريا يمكن استخدامه في دراسة وتفسير الانحراف ، فهو ينظر إلى المنحرفين على أنهم أولئك الذين لم يتم تنشئتهم اجتماعيا على نحو كافٍ.

وأولئك الذين يعتبر التزامهم بقيم ومعايير مجتمعهم غير كافياً، وكان هذا هو الافتراض المتعلق بطبيعة وأسباب الانحراف الذي أدي بعلماء الاجتماع إلى استخدام هذا المنظور في بحث ودراسة الخبرات المبكرة في الطفولة.

لأنه ينظر إلى الأسرة باعتبارها الإطار الذي تجرى فيه كل العمليات الأساسية للتنشئة الاجتماعية وتطوير الشخصيات الثابتة والالتزام بالقيم الاجتماعية.

## 3- يتوقف تكامل النسق الاجتماعي على ميكانزمات التساند بين أجزائه:

تتضح الأهمية التي يعلقها بارسونز على المعايير والقيم من خلال مفهوم متغيرات النمط، ويمدنا هذا المفهوم بأساس الإطار التصنيفي الذي يحدد فئات قيم ومعايير أي مجتمع.

وأكثر من ذلك يدعي بارسونز أن هذا الإطار لمتغيرات النمط يمكن أن تفيد في الكشف عن مقدار التكامل في المجتمع ، ويقرر بارسونز أنه يمكن تصنيف أي قيمة أو دور أو معيار أو نظام أو نسق فرعي في المجتمع أو حتى المجتمع ككل بواسطة هذا الإطار.

أن الأهمية الجوهرية لهذا الإطار تتضح في الطريقة التي تؤثر في المعايير والسمات الأخرى للأنساق الاجتماعية ويمكن لعالم الاجتماع خاصة أن يستخلص مقياساً للتناسب بين المعايير والقيم من خلال الاستعانة بهذا الإطار التصنيفي لمتغيرات النمط.

ويوضح الجدول التالي تصور بارسونز لمتغيرات النمط:

قيم النمط (ب)	قيم النمط (أ)
تميز القيم الأدائية والمعايير بمعنى تأكيد أهداف الانجاز وانجاز الواجبات	تميز القيم التعبيرية والمعايير بمعنى التركيز على الإشباع الانفعالي
<b>Achievement</b> الإنجاز	<b>Ascription</b> النسب
التأكيد على أداء الفاعلين ماذا يفعلون؟	التركيز على خصائص وسمات الفاعلين من يكونوا؟
<b>Specificity</b> التخصص	<b>Diffuseness</b> الإنتشار
التأكيد على العلاقات المحدودة بين الطبيب والمريض مثلا	تأكيد العلاقات الواسعة ومعالجة نطاق أكبر من المصالح والأهداف. ونعني العلاقات بين الأم والطفل
<b>Universalism</b> العالمية	<b>Particularism</b> الاصطفائية
تأكيد تنظيم التفاعل طبقاً لمبادئ عامة. ونعني معاملة كل شخص على أنه مساو لغيره أمام القانون.	تأكيد تنظيم العلاقات الخاصة مع فاعلين معينين ونعني الولاء للأمم
الحياد العاطفي	<b>Affectivity</b> العاطفة
<b>Affective Neutrality</b>	تأكيد اشباع العواطف
تأكيد تأجيل الاشباع بمعنى ضبط النفس	الاهتمام بالجماعة
<b>Self-orientation</b> الاهتمام بالذات	<b>Collectivity - Orientation</b>
تأكيد الفردية بمعنى مجارة المصالح الخاصة.	تأكيد الجماعية بمعنى مجارة المصالح المشتركة

وبالرغم أننا قد أشرنا إلى أن النموذج النظري عند بارسونز المتعلق بالنسق الاجتماعي يشير إلى المجتمعات في جملتها ، ومن المهم أن نذكر أنه قد ادعى أن هذا النموذج يمكن تطبيقه في التحليل على مختلف المستويات النظامية (القراية) ومختلف النظم (الزواج) .

وحتى على العلاقات بين أدوار شخصين اثنين مثل الزوج والزوجة، هذه الإمكانية العامة لتطبيق تصوره للنسق الاجتماعي توضح مرة ثانية كيف قدم بارسونز وزود علماء الاجتماع بمجموعة أكثر تفصيلاً من المفهومات تجاوزت ما كان متاحاً من قبل، تساعد على فهم طبيعة السلوك الاجتماعي من داخل منظور الإجماع.

والخلاصة أنه قد وجد النقد لبارسونز أساساً لأنه قدم لنا إطاراً نظرياً مجرداً يصعب تطبيقه في البحث الأميريقي وسوف نعرض في الأقسام التالية لهذه الانتقادات من خلال فحص أو مراجعة بعض البحوث التي استعانت بهذا المنظور للإجماع ، وسوف نبدأ على أية حال بدفاع ميرتون وبتعديله المقترح للمدخل الوظيفي لكي يناسب البحث السوسيولوجي.

#### رابعاً: نقد وتعديل البنائية الوظيفية عند روبرت ميرتون

ادعى (روبرت ميرتون) أن الإطار النظري من النوع الذي قدمه بارسونز لا يساعد على القيام بأعبائنا الواقعية في علم الاجتماع ، بمعنى القيام بإجراء البحوث السوسولوجية.

ذهب ميرتون إلى أن التحليل الوظيفي يعتبر بمثابة مدخل سوسولوجي لكن هدفه لم يتحقق لأنه مازال بعيداً عن الدقة المنهجية ، ويرجع هذا النقص المنهجي أساساً إلى المفاهيم والافتراضات غير الدقيقة والمشوشة.

ومن هنا قدم قائمة يمكن مراجعتها تحدد ما لا يمكن أو يمكن عمله عند دراسة أي ظاهرة في ضوء الإطار الوظيفي، ولقد أطلق على هذه القائمة المنسقة التي يمكن مراجعتها من المفاهيم والإجراءات اسم النموذج القياسي.

فهناك مشكلة تواجه مفهوم الوظيفة ذاته، لأنه قد استخدم بمعان وطرق كثيرة ومختلفة ، تبدأ بالمهنة والحدث المفرح، والنشاطات التي تنجز من خلال الدور أو المنصب وتشير أيضاً إلى الدوافع والمقاصد والأهداف.

واقترح ميرتون أن نحصر هذا المفهوم فقط في تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها للأحداث الاجتماعية أو الترتيبات التي توضع من أجل تكيف أو توافق نسق ما (الجماعة أو المجتمع).

وهناك أيضاً مشكلات ترتبط بالفروض العامة التي صاغها الوظيفيون. ويذهب ميرتون إلى أن هناك على الأقل ثلاثة افتراضات مضللة في التحليل الوظيفي والتي حاول أن يعالجها ، وهذه الافتراضات هي:-

#### 1- افتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع: FUNCTIONAL UNITY OF SOCIETY

وهناك افتراض شائع وخاصة بين الأنثروبولوجيين بأن كل المعتقدات المقننة (العناصر الثقافية) أو الأساليب الموحدة (الأدوار والمنظم والأنشطة الاجتماعية) تعتبر وظيفة بالنسبة للنسق الثقافي أو الاجتماعي في جملته.

والمشكلة التي تواجه هذا الافتراض أنه قد يصدق عموماً على المجتمعات البدائية والصغيرة لكنه يفقد معناه بالنسبة للمجتمعات المعقدة والكبيرة، فقد لا تكون كثير من العناصر وظيفية بالنسبة للنسق في جملته وإنما قد تكون كذلك بالنسبة لأحد أجزائه فقط.

وبخاصة في المجتمع الصناعي الحديث الذي يمتاز بالتعقيد وزيادة التمايز وهكذا، وعندما نبحث عن وظيفة نشاط معين أو ترتيب أو معقد قد يكفي أن نفحص نتائجه بالنسبة لوحدة معينة فقط، أو جزء من أجزاء المجتمع ككل.

لا بد لعالم الاجتماع عندما يقول أن عنصر معين يعتبر وظيفياً ، أن يحدد الوحدة التي يعينها، لأنه قد يكون وظيفياً فقط بالنسبة لنظام معين أو جماعة أو أسرة واحدة أو مدرسة.

فمثلاً القول بأن المعتقد الديني والنشاطات الطقوسية تعد وظيفية بالنسبة للمجتمع الذي تعمل فيه على دعم التضامن بالنسبة لكل أعضاء هذا المجتمع ، لكن هذا لا ينطبق في حالة إيرلندا الشمالية حيث تعمل الفروق الدينية على تقسيم المجتمع.

#### 2- افتراض الوظيفية الشاملة UNIVERSAL FUNCTIONALISM

ويرتبط هذا الافتراض ارتباطاً وثيقاً بافتراض الوحدة الوظيفية للمجتمع ويصعب فصله عنه، إذ من المفترض أن نجد وظائف إيجابية لأي عنصر اجتماعي.

ويستشهد ميرتون مثلاً بافتراض (كلوكوهن) بأن الأزرار التي توضع على كُم معطف الرجل تحقق وظيفة إيجابية لأنها تحافظ على المألوف وعلى مشاعر القديم، ولكن ليست كل العناصر بالضرورة تحقق وظائف إيجابية.

وما ينبغي على عالم الاجتماع أن يفعله طبقاً لرأي ميرتون أن يوازن بين الوظائف الإيجابية وغير الوظيفية أو المعوقة قبل أن يقرر ما إذا كان هذا العنصر وظيفياً أم لا، مع العناية بالطبع بتحديد أي الوحدات يخصها بالإشارة على وجه الدقة.

### 3- افتراض الضرورة الوظيفية: INDISPENSABILITY

وهذا الافتراض يخلط بين الأفكار التالية:-

أ- الملزمات الوظيفية : PREREQUISITE بمعنى أن هناك وظائف أساسية محددة ينبغي تحقيقها إذا كان على وحدة معينة (مجتمع أو جماعة ) أن تستمر أو يكتب لها البقاء.

ب- الأشكال الاجتماعية / نظم / أساليب : إذ ينبغي مثلا أن يكون للمجتمع بعض الترتيبات المنظمة التي تضمن له تحقيق الملزمات الوظيفية مثل الإنتاج وتوزيع الطعام وغير ذلك من الموارد النادرة ، غير أن هناك طرق كثيرة ونماذج عديدة من الترتيبات الاجتماعية الملموسة والواقعية لإنجاز هذه الملزمات.

### ج- الوظائف الظاهرة والكامنة MANIFEST & LATENT FUNCTIONS

ويضيف ميرتون بالنسبة للتحليل الوظيفي أنه في بحثنا قد نميز بين الوظائف الظاهرة التي تعتبر معترفاً بها ومقصودة من جانب الأفراد المعنيين وبين الوظائف الكامنة التي تمثل النتائج غير المقصودة وغير المعترف بها للسلوك الاجتماعي.

(امثلة للاطلاع) خامساً: توجيه البنائية الوظيفية لتيار البحث في علم الاجتماع

#### 1- الانحراف والمحافظة على النسق عند كاي اريكسون.

قام اريكسون بدراسة إحدى قرى ماساشوتس التي يدين أهلها بالبروتستانتية منذ القرن السابع عشر، ونظر إليها على أنها نسق اجتماعي له تكوينه الخاص وحاول أن يوضح كيف أن معدلات الجريمة يمكن أن تحقق وظيفة إيجابية في الحفاظ على تكامل هذا النسق عبر الزمن. بالإمكان النظر إلى القانون وقوة البوليس وغيرها باعتبارها أمثلة نموذجية عن هيئات الضبط الاجتماعي التي تعمل على المحافظة على حدود المجتمع.

وقام اريكسون في دراسته بتحليل ثلاث موجات مختلفة للجريمة ، موجه الجدل والنقاش التي تهدف إلى معارضة القانون في عام 1636 م ، وموجه اضطهاد المرتدين عام 1650م، وموجه جنون السحر عام 1960 م.

ولقد نظر اريكسون إلى كل موجه منها على أنها محاولة من جانب أعضاء المجتمع المحلي (القرية) لإعادة تحديد حدود مجتمعهم. وإعادة تثبيت القيم المشتركة بينهم.

وهذا التحليل يدعم الفكرة القائلة بأن المجتمع يحتمل أن يكون في حاجة إلى المنحرفين . لأنه ينشط محاولات ضبطهم في توفير الحدود للسلوك المتوقع والمقبول بالنسبة لكل الأعضاء الآخرين . وهكذا يقوم الانحراف بوظيفة المحافظة على الإجماع في المجتمع.

#### 2- مدخل الإجماع وفهم التغيير الاجتماعي عند نيل سملسر:

وتوضح أعمال سملسر أن عالم الاجتماع الذي يستعين بمنظور الإجماع يستطيع أن يتناول بالدراسة مشكلة التغيير الاجتماعي ، فلقد استعان بمفاهيم النسق الاجتماعي والتمايز البنائي في النظر إلى المشكلة على أنها تتعلق بعمليات التوافق التكيفي.

ولقد طبق سملسر هذا الإطار النظري والذي عرض له في كتابه عن التغيير الاجتماعي : على التطور الصناعي لصناعة القطن في لانكشير (مقاطعة إنجليزية) خلال الفترة من 1840 - 1770م.

#### 3- النظرية الوظيفية للتدرج الاجتماعي ل (دي ديفنز ومور)

قد أسهم كل من دي ديفنز ومور وبارسونز باقتراح النظرية الوظيفية للتدرج الاجتماعي ، ومع ذلك فهي تشبه الكثير من أنواع التحليلات التي ترتبت على استخدام منظور الإجماع المشتق من أعمال دوركايم.

وينظر إلى التدرج الاجتماعي مثل الجريمة باعتباره سمة مشتركة لكل المجتمعات ولذلك فهو يعتبر بمثابة سمة طبيعية للمجتمع، والمفترض أنه يقوم بتحقيق بعض الوظائف الايجابية أو حاجات المجتمع.

وكل مجتمع ليس فقط في حاجة إلى التباين الاجتماعي وإنما يمكن أيضا اعتبار هذا التباين سمة واقعية في كل المجتمعات التي نعرفها، ولذلك فالتباين الاجتماعي أو اللامساواة تعتبر ظاهرة عامة وضرورية في المجتمع.

#### الخلاصة:

لقد أوضحنا حتى الآن وجهة النظر التي تقر كيف أن عالم الاجتماع يدخل إلى دراسة الحياة الاجتماعية وقد اعتمد على افتراضات تصورية ونظرية يضعها حول المجتمع والسلوك الاجتماعي، وذهبنا إلى أن هناك مجموعة من الكتابات التي عرفت باسم البنائية قد تأخذ بمنظور الإجماع لأنها تستند إلى الافتراضات التالية:

أ- يعد الإجماع على القيم الأساسية بمثابة السمة الأساسية التي تربط أجزاء المجتمع معاً وتحافظ على نظامه.

ب- يمكن النظر إلى المجتمع على أنه نسق متكامل يتكون من أجزاء معتمدة فيما بينها.

ولقد تتبعنا نمو وتطور هذا المنظور بدءاً من الرواد الأوائل في علم الاجتماع حتى أولئك الذين ساهموا في الوقت الحاضر في تطبيق هذا المدخل وأوضحوا الطرق التي يميلون بها إلى تناول ودراسة مجالات أساسية مثل الأسرة والدين والتدرج الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والانحراف والتغير الاجتماعي.